

الخطاب الإعلامي الفلسطيني المعاصر "دراسة دلالية في ضوء البلاغة العربية"

**Contemporary Palestinian Media Discourse
"a Semantic study in the light of Arab Rhetoric"**

صادق أبو سليمان

Sadek Abu Soliman

قسم اللغة العربية. كلية الآداب. جامعة الأزهر. غزة. فلسطين.

بريد الكتروني: profdrsadeq@hotmail.com

تاريخ التسليم: (١٦/١٢/٢٠٠٧). تاريخ القبول: (١٤/٠٧/٢٠٠٧)

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تلمس خصائص الخطاب الإعلامي بصفة عامة وفق الموروث في علم البلاغة العربية "Arab rhetoric" ، فبدأت ببيان مفهوم الخطاب "Discourse" ومقوماته وأقسامه ووسائله التعبيرية بصفة عامة؛ لتحدث عن الخطاب الإعلامي، وخصائصه، ومتطلبات إبلاغه وأهمها المفاعلة بين عناصر الخطاب - من شكل ومضمون - والمقام، أو ما اصطلاح عليه في علم الدلالة "Semantics" عند علماء اللغة "Linguists" بسياق الحال "context of situation" ؛ لتتناسب ومدارك المتقني ومستواه. وهذا جانب من الدرس نراه يؤصل لمفهوم الخطاب عند أسلافنا ويصلة بما جاء عن المحدثين، وكذلك يلفت إلى أهمية الرابط بين علوم اللغة بصفة عامة والإعلام، ويدركُ باعتماد الإعلام العربي في بداياته الأولى على دارسي اللغة العربية وعلومها. وخاضت الدراسة في أدوات صانع الخطاب الإعلامي؛ ليستفيد منها إعلاميون المعاصررون في تنقيف أنفسهم بمستلزمات صنعتهم، وليسنى لهم امتلاك أرمة بيانها، وكجانبٍ تطبيقيٍّ كان اهتمام الدراسة بعرض مظاهر من الإعلام النّقعي - حيث تشكل النّفعية أهم خصائص الخطاب السياسي الإعلامي - ، ومنها: التزوير الدلالي، والترجمة المقاومة، وعدم التحرّي والتسرّع في إعلان الخبر، وعدم المصداقية ... الخ، وانتهت الدراسة بالتوصيات والمراجع.

Abstract

This study aims to provide a broad exploration of the media discourse in terms of Arab rhetoric conventions. The study started by explaining the term 'discourse', its aspects, types, and means of

expression in general; moving from whence to discuss its characteristics, requirements for its delivery, in particular the interaction between its constituents - both form and content – or what has been termed as “context of situation” by semanticists; all of which are aimed to suit recipients in their various levels of understanding. This section draws attention to the vital need to establish connections between linguistics and media pointing out that at earliest phases, Arab media relied heavily on Arabic language researchers. The study then elaborated on the instruments available to the media discourse developers to help them master their craft. At the practical level the study reviewed manifestations of pragmatics, which is one of the most salient features of political media discourse, as clear in misrepresentation, resisting translation, unverified and precarious news delivery and lack of authenticity. The study then concluded with recommendations and references.

وطة:

الخطاب "Discourse" - بحسب فهمنا - هو قناعة الوصل أو طريق التعبير الذي يصل المنتج بالمتلقى، ويكشف عن فكر مُتّجّه أو نفّاقته، بل الكاشف عن شخصيته بكلّ خصائصها، وقد عبر النقاد وال فلاسفة عن هذا المعنى حين قالوا: إنَّ الأسلوب هو الأديب أو الرجل بل هو صاحبُه، أيْ إنَّه المتبَّعُ عنه، وقد خاطب أحدُ الفلاسفة المُربَّين أحدَ جلساَه الصامتين بقوله: يا هذا كلامي حتى أراك!

ويتجلى هذا المعنى عندما نرى من ينسب نصًا لأحد المبدعين فنرى الخبير المتمرّس يدرك بحسه أنَّ هذه النسبة ليست صحيحة؛ ويقول: هذا النصُّ لا أمسُّ فيه نفسَ هذا المبدع، أو أنه لا يتفقُ في خصائصه وما أعرفه من خصائص أسلوبية لخطابه.

وقد لمسنا هذا المعنى عند القدماء والمُحدثين؛ فهذا عبد القاهر الجرجاني، وهو يتحدث عن العلاقة الوطيدة بين النص ومبدعه يفصّح فيقول: "ينبغي ألا يشتبه أن الشعر لا يختص بقائله من جهة أنفس الكلم وأوضاع اللغة، ويزداد تبييناً لذلك بأنَّ ينظر في القائل إذا أضفته إلى الشعر فقلت: (أمرؤ القيس قائل هذا الشعر)، من أين جعلته قائلاً له؟ أمن حيثُ نطق بالكلم وسمعتَ ألفاظها من فيه، أم من حيثُ صنع في معاناتها ما صنع، وتوخّي فيها ما توخّي؟ فإنْ زعمتَ أنك جعلته قائلاً له من حيثُ إنه نطق بالكلم وسمعتَ ألفاظها من فيه على النّسق المخصوص، فاجعل راوي

الشعر قائلًا له، فإنه ينطُقُ بها ويخرجها من فيه على الهيئة والصورة التي نطقَ بها الشاعر، وذلك ما لا سبيل لك إليه^(١).

وأوضح الباقلاني أنَّ العالم "إذا عرفَ طريقةَ شاعِرٍ في قصائدَ معدودةٍ، فأنشَدَ غيرَها من شعره، لم يشكَّ أنَّ ذلكَ من نسجه، ولم يرُثْ في أنه من نظمه، كما أنه إذا عرفَ خطَّ رجلٍ لم يشتبَه عليه خطُّه حيثُ رأه من بين الخطوط المختلفة، حتى يميِّزَ بين رسائل كاتبٍ وبين رسائل غيره^(٢)".

ويقول دي لوفر: "إنَّ الأسلوب الفرديَّ حقيقةٌ بما أنه يتسمى لمن كان له بعض الخبرة أنَّ يميِّزَ عشرينَ بيتاً من الشعر إنَّ كانت لراسين (Racine) أم لكرناي (Corneille)، وأنَّ يميِّزَ صفحَةً من النثر إنَّ كانت لبلزاك (Balzac) أم لستاندال (Stendhal)^(٣)".

ويقول ريمون طحان: "إنَّ الأسلوب ينبع من ذاتية الفنان أو الكاتب (نظرية Buffon)، ومع أنَّ اللغة مشاعٌ لمجموعةٍ بشريةٍ معينةٍ فإنَّ استعمالها يتتنوع بحسب الأفراد الذين ينتفعون بها، حتى إنه ليقال: إنَّ لكلَّ امرئٍ لغته، بمعنى أنه ينفرد في أسلوبه عن المجموعة التي ينتمي إليها"^(٤)؛ الأمر الذي يذكُرنا بالأديب المهجري المبدع جبران خليل جبران حين خاطب نقاده قائلاً: "لكم لغتكمولي لغتي".

وليس هذا الرابطُ بين الخطاب والمخاطب إلا لأنَّ الخطابَ يشكُّلُ جزءاً من مبدعه؛ فهو يصدرُ من مخزونه لغةً ومضموناً وذوقاً وتجاربَ حياةٍ الذي تشكُّلَ فيه عبرَ سني عمره، وقد جاء هذا المضمونُ الكاشفُ عن علاقةِ النصِّ أو الخطابِ بصاحبه بألفاظٍ وتراتيبٍ أكثرَ صراحةً عندَ غيرِ واحدٍ من العلماء.

فمن علماء العربية وجدها مثلاً عبدُ القاهر الجرجاني بفيض في الرابط بين الأسلوب وصاحبِه، وهو يرى أنك: "تعرف من البيت الواحد مكانَ الرجل من الفضل، وموضعه من الحق، وتشهد له بفضل الملة وطول الاباع، حتى تعلم إنَّ لم تعلم القائلَ أنه من قبل شاعرٍ فعل، وأنَّه خرجَ من تحت يد صناع"^(٥).

(١) الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٦٠ هـ = ١٣٨٠ م). دلائل الإعجاز. ط٦. صحيحة أصله: الإمام محمد عبد والشيخ محمد محمود الشنقيطي. وصحح طباعته. وعلق حواشيه: السيد محمد رشيد رضا. مكتبة وطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر. ص ٢٣٤.

(٢) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. (١٩٨٠). إعجاز القرآن. ط٥. تحقيق السيد أحمد صقر. دار المعارف. مصر. ص ١٢٠. ويُنظر ص ٦٤٩ من الكتاب ذاته في طبعته الملحقة بكتاب الإتقان للسيوطى.

(٣) المسدي، د. عبد السلام. (د.ت): الأسلوبية والأسلوب. الدار العربية للكتاب. ليبيا - تونس. ص ٦٠.

(٤) طحان، ريمون. (١٩٧٢). الألسنية العربية. ط١. سلسلة الألسنية (٢). تصدر بإشراف: د. أنطون فريحة ود. ريمون طحان. دار الكتاب اللبناني - بيروت. ص ١١٦.

(٥) دلائل الإعجاز. ص ٧٢.

ومن علماء الغرب يأتي بوفون- الذي أثار في رواد النقد الأدبي ومنظري الأسلوب من بعده من أمثال شوبنهاور و فلوبير^(١)- فيقول: "إنَّ من الـهـيـن أنَّ ثـتـرـاعـ المـعـارـفـ والأـحـادـثـ والمـكـشـفـاتـ أوـ أنـ تـبـدـلـ، بلـ كـثـيرـاـ ماـ تـرـقـىـ إذاـ ماـ عـالـجـهـاـ مـنـ هوـ أـكـثـرـ مـهـارـةـ منـ صـاحـبـهاـ، كلـ تـلـكـ الـأـشـيـاءـ هـيـ خـارـجـةـ عنـ ذاتـ الإـنـسـانـ؛ أـمـاـ الـأـسـلـوبـ فـهـوـ الإـنـسـانـ عـيـنـهـ؛ لـذـلـكـ تـعـدـ اـنـتـزـاعـهـ أوـ تـحـوـيـلـهـ أوـ سـلـخـةـ"^(٢)، أوـ "الـرـجـلـ نـفـسـهـ" بـتـرـجـمـةـ عـزـ الدـينـ إـسـمـاعـيلـ^(٣).

وخلص المسدي إلى أنَّ نظرية تحديد الأسلوب- أو الخطاب بمصطلح هذه الدراسة- تنزلُ "منزلة لوحة الإسقاط الكاشفة لمُحبّات شخصية الإنسان، ما ظهر منها في الخطاب وما بطن، ما صرّح به وما ضمّن؛ فالأسلوب جسرٌ إلى مقاصد صاحبه من حيث إنَّه قنطرة العبور إلى مقومات شخصيته، لا الفنية فحسب بل الوجودية مطلقاً"^(٤).

وإذا كان الدكتور أحمد الشايب قد أوضح أنَّ الأسلوب يختلف باختلاف الموضوع، أو "هو الموضوع" فإنه في السياق ذاته يذكر أنَّ "الاسلوب هو الأدب، أو هو الرجل"^(٥).

وهكذا فإنه يمكن القول إن لكلَّ صاحب خطابٍ بصمةً أسلوبيةٍ يتميّز بها، وتدلُّ عليه عند خبراء الأسلوب، وهذا التمايز الأسلوبـيـ. كما نرى - لا نراه بتعارضٍ وحرمة على مراعاة مستوى متألقه أو مخاطبـهـ (فتح الطاء) واحتياجاته، وجنوحـهـ للوصول إليه باللغة التي يفهمها، وليس من شكٍّ في أنَّ هناك تفاعلاً بين المخاطب والمخاطب والنص تتدلى آثاره في الخطاب، وذلك على النحو الذي تسعى سطورُ الدراسة إلى بيانه.

أقسام الخطاب:

أولاً في هذا المقام العلمي أنَّ أقسام الخطاب بصفةٍ عامَّةٍ قسمين رئيسين هما:

الخطاب الخاص:

ويتمثلُ في الخطاب الذي يدورُ بينَ أفراد جماعةٍ متخصصةٍ من الجماعات التي تتفقُ في مجال معين من مجالات الحياة، وله مفرداته وتراتيبه أو مصطلحاته المفردةُ والمركبةُ الخاصةُ بهؤلاء القوم، ومنه خطابُ العلماء أو الأدباء أو أصحابِ الفن أو أصحابِ الوظيفة أو الصناعة الواحدة، وهلمَّ جراً.

(١) إسماعيل، عز الدين. (١٩٥٨م). الأدب وفنونه. دراسة ونقد. ط٢. دار الفكر العربي. ص ٢٦ + الأسلوبية والأسلوب. ص ٦٧.

(٢) الأسلوبية والأسلوب. ص ٦٧.

(٣) الأدب وفنونه. دراسة ونقد. ص ٢٦.

(٤) الأسلوبية والأسلوب. ص ٦٧-٦٨.

(٥) الشايب، أحمد. (١٣٦٩هـ = ١٩٧٦م). الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. ط٧. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. ص ١٢١.

ويدخلُ في هذا الإطار الخطابُ المكتوبُ أو الشَّفويُ الذي تتجهُ كُلُّ جماعةٍ منها لتعليمِ تلامذتها أو مخاطبَةٍ مُرِيدِيهَا ونَدِيمَاهَا، كالخطابُ العَلْمِيُ والخطابُ التَّقْوِيُ والخطابُ الأَدْبَريُ والخطابُ الْلُّغَويُ والخطابُ الْفَقِي ... إلخ.

الخطاب العام:

وهو الموجَّه - في الأغلب - لـكُلِّ أفرادِ المجتمع دون تمييز، وذلك بغضِّ النظر عن بيئاته أو طبقاته، وقد أسمَيهُ أيضًا بـ"الخطابُ الجماهيريُّ" وهو خطابٌ تنفيسيٌّ عامٌ، لكُلِّ من أنواعه أو أجناسه أهدافٌ خاصَّةٌ به، ويندرجُ في إطاره - فيما نرى - الخطابُ الإلَاعَامِيُ الموجَّهُ - في الأغلب الأعمَّ - إلى أفرادِ قناتِ الشَّعب كله بِمُخْتَلِفِ طبقاته دون تمييز.

ويشتملُ هذا اللونُ من الخطاب على أنواع، أهمُّها: الخطابُ السِّياسِيُّ، والخطابُ الدينيُّ، والخطابُ الاجتماعيُّ التَّقْوِيُّ العامُ بوسائلِه المتَوَعِدةِ من مسارحِ دورِ خيالِه ومنتدياتِ تقافيةِ وإذاعاتِ مسموعةٍ ومرئيةٍ وصحفٍ ومجلاتٍ وغيرها.

عملية الخطاب:

وإذا كانَ المُنْتَجُ أو المُنْتَشِّيُ أو المَصْدُرُ بل المخاطبُ(بكسر الطاء) هُوَ أساسُ الخطابِ فإنَّ تمامَ عملية الخطاب لا يكونُ إلا بِتَطَافِر^(١) ثلاثة عناصرٍ أخرى، وهي:

- المُسْتَقِبُ أو المُتَلَقِّي المقصودُ أو المسئَدَفُ بالخطاب بل المخاطب(فتح الطاء).
- المضمونُ أو المحتوى أو الموضوع أو الفكرة أو الرسالة أو النَّص.
- وسيلة الخطاب، وهي أداة التَّوْصِيل، وإنْ شئتَ فقلْ: هي الوسيلةُ التَّعْبِيرِيَّةُ التي تحملُ مضمونَ المُنْتَجِ لِتُوَصِّلَهُ إلى المُتَلَقِّي أو المُسْتَقِبُ أو المخاطب.

وسائل الخطاب:

تنوع وسائل الخطاب؛ فقد تكونُ وسيلةُ الكلمة مسموعةً أم مكتوبةً، أو الصورة، أو الرسم، أو الإشارة "Gesture" - وتشملُ الحركة الجسمية^(٢) التي يُصْدِرُها الإنسانُ مستقلةً، أو مصاحبةً لِلْغَةِ الشَّفَهِيَّةِ أو المقرَوةَ بإرادته أو غيرها، وَتُسَهِّلُهُ في توضيحِ المعنى، أو التي يَصْنَعُها لأغراضِ التَّوْصِيلِ أو التَّعْلِيمِ والإِرْشادِ؛ كإشاراتِ لِغَةِ الصُّمِّ والبُكُّمِ، ومرورِ المشاة،

(١) تطافر وتضافر كلا اللفظين صحيح. إذ ورد عن العرب النطقُ بالضاءِ والظاءِ.

(٢) اختصَّ المحدثون هذا النوع من الخطاب بعلمٍ أسمَيهُ "علم لغةِ الجسم". وَسَمَّاهُ د. فاطمة محجوب. "علم الحركة الجسمية". أو "علم الكنبات" Kinesics. وهو جزءٌ من علم الاتصال. وقد تحدَّثَ عنه وأوضَحَتِ الروابطُ التي تربطُهُ بِلغةِ الكلام. مع إجراءِ تطبيقاتٍ له على الحركةِ الجسمية عندِ المصريين". وأياتٍ من القرآنِ الكريم. يُنظر: محجوب، فاطمة. (١٩٧٦م). دراسات في علم اللغة. دار النهضة العربية. القاهرة. ص. لـ ١٠٥ - ١٠٥. ٢٠٥ - ٢٠٥.

والإشارات الإرشادية لحركة المواصلات المعتمدة على الضوء أو الكتابة أو اللون -، أو سياق الحال أو الموقف أو المقام "context of situation" ، وكما هو واضح فإنه قد يجتمع للخطاب في آن واحدٍ أكثر من وسيلة.

وقد أشار قدماًونا إلى وسائل الخطاب، فقال الجاحظ(ت.٢٥٥ هـ): "وَجَمِيعُ أَصْنَافِ الدَّلَالَاتِ عَلَى الْمَعَانِي مِنْ لَفْظٍ وَغَيْرِ لَفْظٍ، خَمْسَةُ أَشْيَاءٍ لَا تَنْهَضُ وَلَا تَنْزِدُ: أَوْلَاهَا الْلَّفْظُ ثُمَّ الإِشَارَةُ ثُمَّ الْعَدْ ثُمَّ الْخَطُّ ثُمَّ الْحَالُ الَّتِي تُسَمَّى نَصْبَةً؛ وَالنَّصْبَةُ هِيَ الْحَالُ الدَّالِلَةُ، الَّتِي تَقْوِيمُ مَقَامَ تَلْكَ الأَصْنَافِ، وَلَا تَقْصِيرُ عَنْ تَلْكَ الدَّلَالَاتِ، وَلَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْخَمْسَةِ صُورَةٌ بَائِنَةٌ مِنْ صُورَةِ صَاحِبِهَا، وَحَلِيلَةٌ مُخَالِفَةٌ لِحَلِيلَةِ أَخْيَهَا، وَهِيَ الَّتِي تَكْشِفُ لَكَ عَنْ أَعْيَانِ الْمَعَانِي فِي الْجَمْلَةِ، وَعَنْ حَقَائِقِهَا فِي التَّقْسِيرِ" ^(١).

وجعل ابن عبد ربه (ت.٣٢٨ هـ) عناصر البلاغة أو البيان أربعة، فقال: "البلاغة تكون على أربعة أوجه: تكون باللطف والخط والإشارة والدلالة، وكل منها له حظ من البلاغة والبيان، وموضع لا يجوز فيه غيره، ومنه قوله: لكل مقام مقال، ولكل كلام جواب، ورب إشارة أبلغ من لفظ. فلما الخط والإشارة مفهومان عند الخاصة، وأكثر العامة، وأما الدلالة فكل شيء ذلك على شيء، فقد أخبرك به، كما قال الحكيم: أشهد أن السموات والأرض آيات دلالات، وشواهد قائمات، كل يؤدي عنك الحجة، ويؤدي لك بالربوبية" ^(٢).

ومن شواهد على بيان الدلالة قول الشاعر تصيب بن رباح: (الطوبل)

فَعَاجُوا فَأَنْتُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلَهُ وَلَوْ سَكَنُوا أَنْتُ أَنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وعلى عليه بقوله: "يريد لو سكتوا لأنتم علىك حقائب الإبل التي يحتقبها الركب من هباتك، وهذا الثناء إنما هو بالدلالة لا باللفظ".

ومن ذلك أيضا ما نلحظه في قول العباس بن الأحنف (ت.١٩٢ هـ): (الطوبل)

فَرِيقًا وَلَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَيَعْلَمُ	كَفَى حَرَنَا أَنَّى أَرَى مَنْ أُحِبُّهُ
وَأَضْعُفُ عَنْ كِتْمَانِهِ حِينَ أَكْثُمُ	فَلَنْ يُحْتَنُ نَالَتِنِي عُيُونُ كَثِيرَةٌ
وَنَحْنُ سُكُوتٌ خَلَّتِنَا تَنَكِّلُمُ	وَأَقْسِمُ لَوْ أَبْصَرْنَا حِينَ نَلْقَيْنِي
مِرَاضٍ وَدَمْعًا بَعْدَ ذَلِكَ يُسْجَمُ	تَرَى أَعْيُنَا نُبْدِي سَرَائِرَ أَنْفُسِنَا

(١) الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. ط٥. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. د.ت. + طبعة مكتبة الخانجي. القاهرة. (١٩٨٥) م). ج١/ ص١٠٦ - ١٠٧.

(٢) ابن عبد ربه الأنطليسي. (١٩٨٧) م). العقد الفريد. ط٣. ج٢. تحقيق: د. مفيد فقيحة. دار الكتب العلمية. بيروت. ص٣٠٢. ونقل عنه أيضاً: النويري شهاب الدين. (١٣٤٧ = ١٩٢٩) م). في كتابه: نهاية الأربع في فنون الأدب. ج٧. تصحيف: أحمد الزين. دار الكتب المصرية. القاهرة. ص٨.

إنَّ تَحْكُمًا فِيمَا جَاءَ عَنِ الْعَالَمِينَ الْجَلِيلِينَ: الْجَاحِظُ وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ مِنْ نَصوصٍ وَشَوَاهِدٍ سَيِّئَتْ أَنَّ بِضَاعَةَ الْلَّا حَقِّ مِنْ بِضَاعَةٍ سَابِقَةٍ، وَكَمَا هُوَ وَاضِعٌ فَإِنَّ عَانِصِرَ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ عِنْدَ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ هِيَ عَانِصِرُ الْجَاحِظِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي "بَابِ الْبَيَانِ" بِاسْتِنَاءِ الْعَقْدِ فَقْطًا، وَإِنَّ مَا عَنَّهُ الْجَاحِظُ بِـ"الْحَالِ أَوِ التَّصْبِيَّةِ" سَمَّاهُ الْأَخِيرُ بِـ"الْدَّلَالَةِ"، وَإِنَّ "الْحَكِيمَ" الَّذِي جَاءَ الْأَخِيرُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بِنَصِّهِ تَوْضِيحاً لِمَعْنَى مُصْنَطِلَجِهِ "الْدَّلَالَةِ" هُوَ "بَعْضُ الْخَطَبَاءِ" الَّذِي أَورَدَهُ الْجَاحِظُ فِي نَصِّهِ الَّذِي اسْتَفَادَ مِنْهُ - كَمَا هُوَ بِائِنٌ - ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ.

وَكَمَا هُوَ وَاضِعٌ فَإِنَّ لِلْبَيَانِ أَوِ الْخَطَابِ - بِمَصْطَاحِ هَذِهِ الْدِرَاسَةِ - وَسَائِلٌ تَكْشِفُ عَنِهِ، وَيَلْجَأُ إِلَيْهَا الْمَنْتَجُ لِيَوْصِلَ مَضْمُونَهُ أَوْ رِسَالَتَهُ إِلَى الْمُسْتَقْبِلِ أَوِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ، وَهِيَ وَسَائِلٌ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الْلُّغَةِ الْمَنْطَوْقَةِ، وَإِنَّمَا تَشْمَلُ أَيْضًا الْمَكْتُوبَ: رَمْزُ الْلُّغَةِ الْمَنْطَوْقَةِ؛ وَالْإِشَارَةُ؛ وَالْحَالُ أَوِ التَّصْبِيَّةُ أَوِ الدَّلَالَةُ، وَهِيَ الْعَانِصِرَاتُ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا الرَّجُلُانِ؛ أَمَّا الْعَقْدُ وَهُوَ "الْحَسَابُ" ... فَالْدَّلِيلُ عَلَى فَضْيَلَتِهِ وَعَظَمِ قُدرِ الْاِنْتِقَاعِ بِهِ - كَمَا يَقُولُ الْجَاحِظُ -، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "فَالْأَقْلَمُ الْأَصْبَاحُ وَجَاعِلُ الْلَّيلِ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"^(١)، وَقَالَ جَلَّ وَتَعَدَّ: "الرَّحْمَنُ عَلِمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ حُسْبَانٍ"^(٢)، وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ صِيَامًا وَالقَمَرَ نُورًا وَقَرَرَهُ مَازَلَ لِتَعْلَمُوا عَنَّدَ السَّيْنِينَ وَالْحَسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ"^(٣)، وَقَالَ: "وَجَعَلْنَا الْلَّيلَ وَالنَّهَارَ آيَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ الْلَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبَصِّرَةً لِتَبَغُّوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَنَّدَ السَّيْنِينَ وَالْحَسَابِ"^(٤)، وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى مَعَانِي كَثِيرَةٍ وَمَنَافِعَ جَلِيلَةٍ، وَلَوْلَا مَعْرِفَةُ الْعِبَادِ بِمَعْنَى الْحَسَابِ فِي الدُّنْيَا لَمَّا فَهَمُوا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْنَى الْحَسَابِ فِي الْآخِرَةِ".

وَالْعَقْدُ - كَمَا هُوَ وَاضِعٌ مِنْ شَوَاهِدِ الْجَاحِظِ - نَظَامٌ مُطَرَّدٌ يَأْلِفُهُ الْإِنْسَانُ وَيُعَوَّلُ عَلَيْهِ فِي الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ، وَنَحْنُ نَرَاهُ مُتَضَمِّنًا فِي عَانِصِرَاتِ الْبَيَانِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي اعْتَدَّ بِهَا صَاحِبُ "الْعَقْدِ الْفَرِيدِ" ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ؛ فَالْحَسَابُ مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ الْعَالَمَةِ الَّتِي تُؤَدَّى لَفْظًا وَخَطًا وَإِشَارَةً.

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْعَانِصِرَاتُ الْبَيَانِيَّةُ أَوِ الْبَلَاغِيَّةُ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوِ الدَّلَائِلِ الَّتِي يُمْكِنُ إِدْرَاكُهَا أَوْ اسْتِكْشافُهَا وَالتَّعْوِيلُ عَلَى اسْتِنبَاطَاتِ الْمُتَنَقَّيِّ أَوِ الْمُسْتَقْبِلِ مِنْهَا فَهُلْ يُمْكِنُ لِلْسُّكُوتِ أَوِ الصَّمَدْتِ أَنْ يَكُونَ وَسِيلَةً بَيَانِيَّةً دَالَّةً يُمْكِنُ لِلْمُسْتَقْبِلِ الْاِسْتِفَادَةُ مِنْهَا، وَالتَّعْوِيلُ عَلَيْهَا أَيْضًا؟.

(١) سورة الأنعام. الآية: ٦٩.

(٢) سورة الرحمن. الآيات: ١ - ٥.

(٣) سورة يونس. الآية: ٥.

(٤) سورة الإسراء. الآية: ٢١.

أقول: لسنا نُنَكِّرُ - في هذا المجال - أن يكون للسُّكُوت أو الصَّمْت في مقاماتٍ أو أحابين معينةٍ دلالاتٍ معنوية، وقد يُقال في المثل: "رُبَّما كان السُّكُوت جواباً"^(١)، وقالوا: "لو كان الكلام من فضيلة لكان السُّكُوت من ذهب"^(٢).

وقال الشاعر^(٣): (المنسرح)

إِنْ كَانَ مِنْ فَضْلَةِ كَلَامِكِ نَفْسُ قَلَّ إِنَّ السُّكُوتَ مِنْ ذَهَبٍ

وقد وجدنا شعراً عربياً في مختلف عصورهم يُشيرون إلى دلالات السُّكُوت، فقال الشاعر أبو العناية: (ت. ٢١٣ هـ) (الوافر)

وَكَانَتْ فِي حَيَاةِكَ لِيْ عَظَاتُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أُعْطَ مِنْكَ حَيَا

وقال محمد بن أبي العناية: (ت. ٤٢٤ هـ) (مُخلَّع البسيط)

مَا كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوابٌ جَوابٌ مَا نَكِرَهُ السُّكُوتُ

وقال ابن دريد الأزدي: (ت. ٣٢١ هـ) (الرَّجَز)

جَوابٌ سُوءَ الْمَنْطَقِ السُّكُوتُ قَدْ أَفْلَحَ الْمُتَنَاهِيَ الصَّمُوتُ

وقال ابن رشيق القير沃اني: (ت. ٣٢٨ هـ) (جزء الرمل)

يَهَا الْمُوْحِي إِلَيْنَا نَفْتَةُ الصَّلَّى الصَّمُوتُ
مَا سَكَنَنَا عَلَيْنَا عَيَا رُبَّ نُطْقٍ فِي السُّكُوتِ

وقال أيضاً:

وَأَخْرَقَ أَكَالِ لِلْحَمْ صَدِيقَهُ
سَكَنَ لَهُ ضَنَّا بِعْرُضِيْ فَلَمْ أَجِبْ
وَلَيْسَ لِجَارِيْ رِيقَهُ بِمُسِيغَهُ
وَرَبُّ جَوابِ فِي السُّكُوتِ بِلَيْغَهُ

(١) الأوئي، أبو عبد البكري. (١٩٥٨م). فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. ط١. حققه وقدم له: د. عبد

المجيد عابدين، ود. إحسان عباس. مطبوعات جامعة الخرطوم. مطبعة مصر. الخرطوم. ص ٤٧.

(٢) البيان والتبيين. ج ١/ ص ١٩٤ + الخفاجي. ابن سنان. (١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م). سر الفصاحة. ط١. دار الكتب

العلمية. بيروت. ص ٦٢.

(٣) المجمع النقافي - أبو ظبي. (١٩٩٧-١٩٩٣ م). الموسوعة الشعرية. الإصدار الثالث - قرص مدمج. وقد نسبت الموسوعة الشعرية هذا البيت. والقطعة التي جاء فيها إلى على بن أبي طالب. (ت. ٤٠ هـ). وهي موجودة في ديوان الإمام والموسوعة في قطعة عدّة أبياتها أربعة. ينظر: على بن أبي طالب (د.ت.). ديوان الإمام على أمير المؤمنين. وسید البلاغة والمتكلمين. ويليه القصيدة الكثيرة. جمع وترتيب عبد العزيز الكرم. الناشر. المكتبة الثقافية. بيروت. لبنان. ص ٢٠. وكذلك نسبت الموسوعة هذا البيت إلى: عبد الله بن المبارك. (١٨١ هـ). في القطعة ذاتها. ولكن بزيادة بيت خامس لتصير عدّة أبياتها خمسة.

وقال جرمانوس فرات: (ت. ١٤٥ هـ = ١٧٣٢ م) (الكامل)

ما كل من نادى بُجَابُ نِدَاوَةٍ إن السُّكُوتَ عن الجوابِ جوابٌ

وفي هذا المقام تستذكرُ الحديثُ النبويُّ الشريفيُّ: "البَكْرُ سُنَّاًمُ، وَإِذْنُهَا صَمَاثِهَا، وَالْتَّيْبُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا"؛ وَعَلَيْهِ فَإِنَّ كَانَ مِنْ خَيْرِ الْمُنْتَقِيِّينَ أَوْ الْعَدْلِ أَنْ تُؤْسِبَ لِسَاقَتِ كَلَامًا مَلْفُوظًا فَإِنَّ استِنباطَ مَعْنَى كَامِنَةٍ فِي بَاطِنِهِ تُثْبِتُ عَنْهَا كَيْفِيَّتَهُ أَوْ قَرَائِيلَهُ فِي أَحْوَالِ مَعْنَيَّةٍ لَيْسَ مُسْتَهْجِنًا أَوْ مُسْتَغْرِبًا، وَيُمْكِنُ لِلْمُسْتَبِطِ أَنْ يَسْتَرِشَ بَهَا أَوْ يُعْوِلَ عَلَيْهَا، فَالسُّكُوتُ فِي أَحَبِّينَ الْحَاجَةِ بَيْانٌ.

وَإِنَّ مَا جَاءَ عَنِ الْأَصْوَلِيِّينَ فِي هَذَا الْمَجَالِ يَشْكُلُ دَلَالَةً وَاضْحَاهَ عَلَى مَا نَذَهَبُ إِلَيْهِ؛ حِيثُ أَثْبَتُوا لِلسُّكُوتِ دَلَالَاتٍ؛ فَأَشَارُوا إِلَى أَنَّ "مَوْضِعَ الْقِيَاسِ طَلْبُ أَحْكَامِ الْفَرْوَعِ الْمُسْكُوتِ عَنْهَا مِنَ الْأَصْوَلِ الْمُنْصُوصَةِ بِالْعُلُلِ الْمُسْتَبِطَةِ مِنْ مَعْنَيَّهَا، لِيُلْحَقَ كُلُّ فَرْعَ بِأَصْلِهِ"(^١)، وَإِذَا كَانَتِ الدَّلَالَاتُ - فِي هَذِهِ الْحَالَةِ - مُسْتَبِطَةً مِنْ غَيْرِ مَلْفُوظٍ فَإِنَّهُمْ حَقُوهَا بِالْلُّفْظِيَّةِ فِي ثَبَوتِ الْأَحْكَامِ بَهَا، وَفَسَّمُوهَا أَقْسَامًا، مِنْهَا: مَا يَلْزَمُ عَنْهُ مَذْكُورٌ مَسْكُوتٌ عَنْهُ، وَدَلَالَةُ حَالِ السَّاقِتِ الَّذِي وَظَيَّفَهُ الْبَيَان... إلخ(^٢).

وَيَشْكُلُ السُّكُوتُ أَوِ الصَّمَتُ - فِيمَا نَفَهُمُ - جَزءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ مَضْمُونِ مَصْطَلِحِ "الْأَصْنَبَةِ" الَّذِي جَعَلَهُ الْجَاحِظُ أَحَدَ عَنَّاصِرِ الْبَيَانِ، وَعَرَفَهُ وَنَكَلَهُ عَلَيْهِ بِقُولِهِ: "وَأَمَّا الْأَصْنَبَةُ فَهِيَ الْحَالُ التَّاطِفَةُ بِغَيْرِ الْلُّفْظِ، وَالْمُشَيرَةُ بِغَيْرِ الْيَدِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِي كُلِّ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ، وَجَامِدٍ وَنَامٍ، وَمَقِيمٍ وَظَاعِنٍ، وَزَائِدٍ وَنَاقِصٍ؛ فَالْدَّلَالَةُ الَّتِي فِي الْمَوَاتِ الْجَامِدَ كَالْدَلَالَةِ الَّتِي فِي الْحَيْوَانِ التَّاطِفِ، فَالصَّامِتُ نَاطِقٌ مِنْ جَهَةِ الدَّلَالَةِ، وَالْعَجَمَاءُ مُعَرِّبَةٌ مِنْ جَهَةِ الْبَرَهَانِ؛ وَلَذِلِكَ قَالَ الْأُولُونَ: سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ: مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ، وَجَنَّى ثَمَارَكِ؟، فَإِنْ لَمْ تُحِبِّكَ حَوَارًا، أَجَابَكَ اعْتِباً"(^٣)

وَأَيْمًا تَكُونُ وَسَائِلُ الْبَيَانِ أَوِ الْخَطَابِ(^٤) الَّتِي أَشَرَّنَا إِلَيْهَا، وَأَعْتَرَفَ بَهَا أَهْلُ الْبَلَاغَةِ وَالْأَدْبَرَ وَالْلُّغَةِ وَغَيْرُهُمْ فَإِنَّ وَسِيلَةَ الْكَلْمَةِ مَنْطَوْقَةٌ أَمْ مَكْتُوبَةٌ هِيَ الَّتِي تَهْتَمُ بَهَا هَذِهِ الْدَّرْسَةُ؛ وَإِنَّ الْخَطَابَ الإِلَاعَمِيَّ - مَجَالُ هَذِهِ الْدَّرْسَةِ - نَرَاهُ - فِي الْأَغْلِبِ - يُعْبَرُ عَنْ مَضْمُونِهِ بِهَذِهِ الْكَلْمَةِ الْمُؤَتَلَّفَةِ مَعَ غَيْرِهَا جَمِلاً وَدَلَالَاتٍ لَيُصِلَّ بَهَا إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ الَّذِي لَا تَعْدُمُ أُثْرَهُ فِيهِ، وَذَلِكَ مِنْ خَلَلِ حِرْصِ الْمَخَاطِبِ أَوِ الْمُرْسَلِ عَلَى تَكْيِيفِ خَطَابِهِ - أَوْ إِنْ شَنَّتَ فَقُلْ: رَسَالَتِهِ الإِلَاعَمِيَّةِ - وَقَدْرَةِ مَخَاطِبِهِ وَحَالِهِ؛ لَذَا فَإِنَّ الْخَطَابَ الإِلَاعَمِيَّ وَفَقَدَ هَذَا الْمَفْهُومُ مُؤْتَرٌ وَمُتَأْثِرٌ فِي آنِ وَاحِدٍ.

(١) يُنْظَرُ مَثَلًا: الشُّوكَانِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلَى (ت. ١٢٥٠ هـ). إِرْشَادُ الْفَحْولِ إِلَى تَحْقِيقِ الْحَقِّ مِنْ عِلْمِ الْأَصْوَلِ. مَطْبَعَةُ مَصْطَفِيِّ الْبَابِيِّ الْحَلَبِيِّ وَأَوْلَادِهِ، مَصْرُ، ص. ١٩٩.

(٢) يُنْظَرُ مَثَلًا: الْأَمْدِيُّ، سَيِّفُ الدِّينِ (١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م). الْإِحْكَامُ فِي أَصْوَلِ الْأَحْكَامِ ج. ٢. مَطْبَعَةُ الْمَعْرَفَةِ، ص. ٩٤ + الْغَزَالِيُّ، أَبُو حَمَدِ مُحَمَّدٍ (١٣٢٤ هـ). الْمُسْتَصْفَى مِنْ عِلْمِ الْأَصْوَلِ. وَبِهَامِشِهِ فَوَاطَحَ الرَّحْمُوتُ لِعَبدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ نَظَامِ الْبَيْنِ الْأَنْصَارِيِّ بِشَرْحِ مُسْلِمِ الشَّيْوَتِ لِمُحَبِّ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الشَّكُورِ. ط. ١٦. ج. ٢. المَطْبَعَةُ الْأَمْبَرِيَّةُ، بُولَاقُ، ص. ١٩١.

(٣) يُنْظَرُ: الْبَيَانُ وَالتَّبَيِّنُ. ج. ١ / ص. ٨١.

(٤) أَوْ إِنْ شَنَّتَ فَقُلْ: بِلْغَةٌ بَعْضِ الْمُعَاصِرِيِّينَ وَلَا سِيمَا الْإِلَاعَمِيِّينَ. وَسَائِلُ الاتِّصالِ.

متطلبات الخطاب الإعلامي

إذا كان الخطاب يكشف عن مُنتجه فلا بد له أيضاً أن يتنااسب وعقلية المستقبل ومستواه؛ لذا فهو يتطلب من المنتج أن يراعي مجموعة من الأمور حتى تقع رسالته الإعلامية الموقعة الذي يريده لها، وأهمها:

* - التأثر على خصائص مخاطبه الفكرية والاجتماعية والسياسية واحتياجاته لمراحتها في توجيهه وتوعيته، وفي هذا المجال يتوجّب على المنتج أو المنشئ أن يراعي في خطابه فدراً مُستقبلاً العقلية، وطاقاته الثقافية، وظروفه الاجتماعية، وما إلى ذلك من أمور كاشفة هادبة.

و هذه لوازم ضرورية نراها كفيلة بأن تقرب المنتج الإعلامي من مستقبله، وتهيئ له ولرسالته الإعلامية مَنَازل القبول عنده؛ الأمر الذي عايناه عند أساتذتنا، حيث كانوا قبل شرحهم للنص الأدبي شعراً أو نثراً، وتحليلهم لمعانيه يتحدون لنا عاماً يُسمونه "جو النص"، ويشمل التعريف بالكتاب وعصره، والكشف عن مناسبة النص أو ملابسات قوله؛ وذلك لخلق الجو المناسب لنا للتعرف على كل ما يحيط بالكتاب وقصه من أحوال أو سياقات.

وهو الأمر الذي نص على جوانب منه علماؤنا السابقون أيضاً، إذ تحدّثوا عن فوائد "أسباب النزول" في الكشف والتوضيح؛ جاء عن الواحدي أنه: "لا يمكن معرفة تقسيم الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها، وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، قال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالسبب"^(١)، وذكر السيوطني أن معرفة أسباب النزول "فوائد: منها معرفة وجه الحكمة الباختية على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها أن اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه...، ومنها الوقوف على المعنى وإزاله الإشكال"^(٢).

* - اختيار الألفاظ المناسبة، والجمل السليمة المترابطة التي تراعي حصيلته اللغوية، ودعم الأسلوب بوسائل الإيضاح الشارحة الكاشفة التي تتناسب ومستوى المنشئي كالمصوص الدينية أو الأدبية أو الحكم والأمثال وغير ذلك.

وبصفة عامة فإن صياغة الخطاب الإعلامي خاصة تتطلب من المنتج لغة واضحة بعيدة عن النادر والغربي والحوشى والمُستقره من الألفاظ أو التراكيب، وينبغي أن تشكل لغته القاسم المشترك الذي يجتمع عليه جمهور مستقبليه؛ فهي المعرض الذي يعرض بها بضاعته.

(١) السيوطني، جلال الدين. (١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م). الإتقان في علوم القرآن. ويليه كتاب إعجاز القرآن للقاضي البافلاني. ط١. ج١. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ص ٤١.

(٢) ينظر السابق. ج١. ص ٤٠ - ٤١.

وفي هذا المجال وجدنا ابن قتيبة يحثُ الكتابَ على عدم التعمير والتعيب^(١) في كلامهم، وأن ينزلوا ألفاظهم في كلِّهم فيجعلوها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وألا يعطوا "خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضعيف الكلام"^(٢).

ووجدنا عبد الرحمن الهمذاني - وهو يوجّه الكتابَ في عصره - ينقدُ اتجاهات بعضهم في عدم الاستواء في خطابهم، وذلك بعدم ملاءمة عناصره لمطالباته من ألفاظ اللغة، فيقول: "وَوَجَدْتُ مِنَ الْمُتَأْخِرِينَ فِي الْآلَةِ قَوْمًا أَخْطَأُهُمُ الْإِلْسَاغُ فِي الْكَلَامِ فَهُمْ مُعَلَّقُونَ فِي مَخَابِطِهِمْ وَكَلِّهِمْ بِالْفَظْةِ الْغَرِيبَةِ وَالْحَرْفِ الشَّادِ؛ لِيَتَمَيَّزُوا بِذَلِكَ مِنَ الْعَامَةِ، وَيَرْتَقِعُوا عَنْهُمْ أَغْبَيَاءَ عَنْ طَبَقَةِ الْحَشْوِ...، وَأَفْقَيْتُ آخَرِينَ قَدْ تَوَجَّهُوا بَعْضُهُمْ إِلَى الْوَجْهِ وَعَلَوْا عَنْ هَذِهِ الْطَّبَقَةِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ يَمْرُجُونَ الْفَاظًا يَسِيرًا قَدْ حَفَظُوهَا مِنَ الْفَاظِ كُتُبَ الرَّسَائِلِ بِالْفَاظِ كَثِيرَةٍ سَخِيفَةٍ مِنْ الْفَاظِ الْعَامَةِ اسْتِعَانَةً بِهَا، وَضَرُورَةً إِلَيْهَا؛ لَخَفَةِ بَصَاعِدَتِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِعُونَ تَغْيِيرَ مَعْنَى بَغْيَرِ لَفْظِهِ لِضيقِ وُسْعِهِمْ؛ فَالْتَّكَافِلُ وَالْاِخْتَالُ ظَاهِرَانِ فِي كُلِّهِمْ وَمَحَاوِرَهُمْ، إِذْ جَمَعُوا بَيْنَ الدُّرَّةِ وَالْبَعْرَةِ فِي نَظَامِهِمْ"^(٣).

وما كان لنقاء العربية، وبلغائيها، ولنا أن ننص على ضرورة اختيار اللفظ المناسب، ووضعه في تراكيب سليمة واضحة إلا لأنّ اللغة هي حلّة المعاني، وإن الممكّن من جعلها قادرةً على التعبير عن المعاني أو المضامين التي تحملها بجلاء ويسّر لها الهدف الأسمى الذي يسعى المنتج أو المخاطب إلى الوصول إليه.

وفي هذا المعنى سبق لابن طباطبا أن قال في حديثه عن خصائص خطاب الشعر الجيد: "وللمعاني ألفاظ شاكلاها، فتحسن فيها، وتتفتح في غيرها، فهي لها كالجاربة الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض، وكم من معنى حسن قد شين بمعرضيه الذي أبرز فيه، وكم معرض حسن قد ابتذر على معنى قبيح أليس"^(٤).

والشعر - كما هو معروف - رسالة العربي الإعلامية الأولى؛ فقد سجل أيام العرب وما ترثها، بل هو - بسان ابن عباس رضي الله عنهما: - "ديوان العرب"^(٥).

*- الحرّص على أن تتساوق الألفاظ وتراكيبها في جمل مع ما تتطلبها مضامين الخطاب التي يهدّف المنتج أو المخاطب إلى توصيلها، وفي هذا المقام تبّه عبد الرحمن الهمذاني إلى أنَّ

(١) التعمير والتعيب التعمق والإغراب في استخراج معاني الكلام.

(٢) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله. (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م). أدب الكتاب. ط١. شرحه وكتب هوامشه وقدم له: أ. علي فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ص ١٨ - ٢٠.

(٣) الهمذاني. عبد الرحمن بن عيسى. (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م): كتاب الألفاظ الكاتبية. منشورات دار الهدى للطباعة والنشر. توزيع المكتب الإسلامي. ص ٤ - ٥.

(٤) ابن طباطبا، محمد أحمد. عيار الشعر. دراسة وتحقيق: د. محمد زغلول سلام. الناشر: منشأة المعارف. الإسكندرية. ص ٢١ - ٢٢.

(٥) ابن رشيق القمياني، أبو علي الحسن. (١٤٠١هـ = ١٩٨١م ت). العدمة في محسن الشعر وآدابه ونقده. ط٥. ج. ١. حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت. ص ٣٠.

منْ مَحَمَّدِ التَّأْلِيفِ، وَالنَّظَمِ أَنْ "تَزَينَ مَعَانِيُ الْفَاظُهُ، وَالْفَاظُهُ زَانَاتُ الْمَعَانِي، فَإِذَا كَانَتِ الْأَلْفَاظُ مَشَاكِلَةً لِلْمَعَانِي فِي حُسْنِهَا، وَالْمَعَانِي مَوْافِقَةً لِلْأَلْفَاظِ فِي جَمَالِهَا، وَانْضَافَ إِلَى ذَلِكَ قُوَّةً مِنَ الصَّوَابِ، وَصَفَاءً مِنَ الطَّبْعِ، وَمَادَةً مِنَ الْأَدَبِ، وَعِلْمٌ بِطَرْقِ الْبَلَاغَاتِ، وَمَعْرِفَةٌ بِرُسُومِ الرَّسَائِلِ وَالْمُكَاتِبَاتِ كَانَ الْكَمَالُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ"^(١).

*- وَضُوح عِنَاصِرِ الْمَضْمُونِ، وَسَلْسُلُ عِنَاصِرِ أَفْكَارِهِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَتَطَلَّبُ مِنَ الْمَصْدِرِ الْمَخَاطِبِ وَعِيَاً تَامًا بِمَحْتَوِيَاتِ خَطَابِهِ؛ فَإِذَا كَانَ الْمَضْمُونُ نَاضِجًا فِي ذَهَنِ صَاحِبِهِ انْطَلَقَ لِسَائِهُ بِمَا يَمْتَلِكُ دَمَاغُهُ مِنْ مَفَرَّدَاتٍ وَتَرَاكِيبٍ مُتَوَافِمَةٍ وَمُتَطَبِّبَاتٍ، أَدْمَغَةً مُسْتَقْبِلِيهِ. فِي التَّعبِيرِ عَنْهُ بِسُهُولَةٍ.

بلاغة الخطاب الإعلامي:

وَإِذَا كَانَ لَنَا أَنْ نُحَدِّدَ الْكَلَامَ الْبَلِيجَ وَهُوَ قَوْمٌ أَيْ أَسْلُوبٌ رَاقٍ، وَمِنْهُ نَصُّ الرِّسَالَةِ الْإِعلامِيَّةِ أَوِ الْخَطَابِ الْإِعلامِيِّ. بِحَسْبِ مَصْطَلحِ هَذِهِ الْدِرَاسَةِ - فَإِنَّا نَرَى ضَرُورَةً أَنْ يَتَوَافَّرَ لِهِ شَرْطَانِ رَئِيسَانِ هَمَّا:

- فَصَاحَةُ الْفَاظِ وَالْتَّرَكِيبِ وَالْمَعْنَى^(٢).
- مَلَاءَمَةُ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَىِ الْحَالِ.

وَإِذَا مَا نَجَحَ الْمُنْتَجُ فِي اخْتِيَارِ عِنَاصِرِ خَطَابِهِ: (الْفَاظُ وَالْتَّرَكِيبُ وَالْمَعْنَى)، وَمَلَاءَمَتْهَا لِمُقْتَضَىِ الْحَالِ، وَمُمْكِنَةُ التَّأثِيرِ فِي الْمَخَاطِبِ فَقَدْ أُوْصَلَ رِسَالَتَهُ، وَكُلُّ مَنْ أُوْصَلَ حَاجَةً أَوْ رِسَالَتَهُ وَفَقَدْ أَنْظَمَهُ لِلْلُّغَةِ السَّلِيمَةِ. كَمَا كَانَ يَقُولُ الْقَدَماءُ: - فَقَدْ أَبْلَغَ.

وَعَلَى هَذَا فَلَيَّنَ بِلَاغَةُ الْخَطَابِ الْإِعلامِيِّ تَكْمِنُ فِي تَمْكِنِ الْمُنْتَجِ فِي خَطَابِهِ مِنْ تَوْفِيرِ مَتَطلَّبَاتِ الْمُنْتَقِيِّ؛ لِجَذْبِهِ إِلَيْهِ، وَاستِمرَارِ تَوَاصِلِهِ مَعَهُ، الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُنَا نُؤْسِفُ عَلَى أَنْ كُلُّ مِنْهُمَا يَؤْتَى فِي الْآخَرِ: فَالْمُنْتَجُ أَوْ الْمُتَشَبِّهُ أَوِ الْمُخَاطِبُ فِي حِرْصِهِ فِي خَطَابِهِ عَلَى جَذْبِ مَخَاطِبِهِ أَوِ مُسْتَقْبِلِهِ لَا يَدُّ. كَمَا هُوَ مُفْقَرَضٌ - أَنْ يَقْرَبَ إِلَيْهِ بِعِنَاصِرِ الْفَاظِ وَالْتَّرَكِيبِ وَالصَّوْرَةِ وَالْمَمَّالِ الَّتِي يَتَطَلَّبُهَا مَسْتَوَاهُ يُمْكِنُهُ فَهُمُّهُ، لَذَا فَإِنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ - فِيمَا أَفْهَمَ - يَتَقْمَصُ أَوْ يَتَخَيَّلُ عَقْلِيَّةَ صَاحِبِهِ الَّتِي - لَا مَحَالَةَ - سَتُؤَثِّرُ فِيهِ، فَإِذَا مَا نَجَحَ فِي ذَلِكَ فَسَيَصِلُ إِلَى غَرَضِهِ فِي الإِفْنَاعِ وَالْإِمْتَاعِ، وَهُوَ الْجَانِبُ التَّأثِيرِيُّ الَّذِي يَسْعَى إِلَى بُلوغِهِ.

وَقَدْ أَشَارَ غَيْرُ عَالَمِ إِلَى هَذِهِ الْعَلَاقَةِ التَّأثِيرِيَّةِ لِقَطْبِيِ الرَّحْيِ: الْمَخَاطِبُ وَالْمَخَاطِبُ؛ فَعَالَمُ الْلُّغَةِ الْأَمْرِيَّكِيُّ بِلُومِفِيلَدُ "Leonard Bloomfield" رَأَيْنَا يَرْبُطُ تَحْدِيدَ مَعْنَى الْكَلَامِ أَوِ الصِّيَغَةِ

(١) السَّابِقُ: صِ. أَك.

(٢) وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فَقَدْ يَكُونُ الْإِبْلَاغُ بِغَيْرِ الْفَاظِ الْفَصِيحِ. وَالْتَّرَكِيبُ السَّلِيمُ؛ لَذَا كَانَ احْتَارَنَا - فِي هَذَا الْمَقَامِ - بِاشْتِرَاطِ فَصَاحَةِ الْفَاظِ وَالْتَّرَكِيبِ وَالْمَعْنَى الَّتِي نَعْنِي بِهَا: الْمَوْافِقَةُ لِأَنْظَمَةِ الْلُّغَةِ الصَّوْتِيَّةِ وَالْبَنِيَّوَيَّةِ وَالْتَّرَكِيَّيَّةِ. وَعَدَمِ الْخَرُوجِ عَلَى الدَّلَالَاتِ الْواضِحَةِ لِلْأَلْفَاظِ وَالْتَّرَاكِيبِ.

اللغوية بال موقف أو الحالة "Situation" التي تصاحب المتكلم حين تُطّلّعها، واستجابة "Response" "المُستَمِع أو المُسْتَقْبِل؛ فحالة المتحدث واستجابة المستمع- كما يرى بلومفيلد - تتعاضدان في إنتاج الكلام أو الخطاب^(١).

ووجدنا بينفسـت envenist يعرّف مصطلح الخطاب بأنه كل نطق متكلماً وسامعاً، ويفترض في المتكلم نية التأثير على الآخر بشكل ما^(٢).

وبحسب فهمنا في هذا السياق فإننا نخلص مما سبق إلى أنَّ البلاغة الإعلامية- عند القدماء والمحديثين- هي فنُّ إيصال محتوى الخطاب دون مخالفة القواعد أو نظامية اللغة؛ فهي قائمة على التَّجَاح في الإبلاغ الذي من أهم شروطه الإبانة بما تحتاجه من متطلبات سبق الكشف عنها.

وقد وجَدْنَا القرآن الكريم يلتفت إلى أهمية هذا العنصر للإبلاغ، حيث وردَ وصفُ كلمة "البلاغ" بوصفه "المُبِين" سبع مرات^(٣)، وجاء مجدداً منه أربع مرات^(٤).

ووجـدـناـ الجـاحـظـ يـوـضـحـ ذـلـكـ حـينـ يـعـرـفـ الـبـيـانـ. أو إنـ شـئـتـ فـقـلـ: "الـخـاطـبـ" بمـصـطـاحـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ. بـأنـهـ "اـسـمـ جـامـعـ لـكـلـ شـيءـ كـثـيـرـ لـكـ قـنـاعـ الـمـعـنـىـ، وـهـنـاكـ الـحـاجـابـ دـوـنـ الضـمـيرـ، حـتـىـ يـُعـضـيـ السـامـعـ إـلـىـ حـقـيقـتـهـ، وـيـهـجـمـ عـلـىـ مـحـصـولـهـ كـانـنـاـ مـاـ كـانـ ذـلـكـ الـبـيـانـ، وـمـنـ أـيـ جـنـسـ كـانـ الدـلـيـلـ؛ لـأـنـ مـدـارـ الـأـمـرـ وـالـغـاـيـةـ الـتـيـ إـلـيـهـ يـجـريـ الـقـائـلـ وـالـسـامـعـ إـنـمـاـ هـوـ الـفـهـمـ وـالـإـفـهـامـ؛ فـبـأـيـ شـيءـ بـلـغـتـ الـإـفـهـامـ وـأـوـضـحـتـ عـنـ الـمـعـنـىـ، فـذـلـكـ هـوـ الـبـيـانـ فـيـ ذـلـكـ الـمـوـضـعـ"^(٥).

وإذا كان البيان بأنواعه الخمسة: - وهي: اللطف والإشارة والعقد والخط والحال التي يُسمّيها نسبة- التي حدها الجاحظ وسماها "أشياء" فلا أطلاق يخرج عن المألوف الذي اعتاد عليه الناس- بصفة عامة - في مجالات الإبانة أو الإبلاغ؛ فهو حين أشار إلى أنَّ تبليغ "الإفهام"، و"الإيضاح" عن المعنى "إنما" هو "البيان"، ويكون "بأي شيء" لا نراه يقصدُ الخروج عن المألوف من قواعد اللغة أو أنظمتها.

وأيًّا كان إيمان الجاحظ أيضاً بـأنَّ لكلَّ مقام مقالاً، وأنَّ الناس مُنفَاقونَ في مستويات فهمهم وإفهمهم، وأنَّ أصحاب الإبلاغ أو البيان مختلفون في طرائقهم التعبيرية، فلا نظنه - وهو أديبُ العربية المتنطّسُ، والبلاغيُّ الحاذقُ - في حديثه عن الإبلاغ أو الخطاب يحيطُ عن طريق العربية الفصيحة الذي اعتاده في الإفصاح عن فكره وعلمه وأدبه فيها، وهو الطريق الذي يُعدُّ مثالاً ممتازاً ندعى أصحاب الخطاب أو البيان إلى الاطلاع عليه؛ للاستفادة منه.

(١) Bloomfield L., Language, George Allen & Unwin LTD - London, Twelfth Impression p. 139.

(٢) أيسنوبت، أنتوني. (١٩٨٥م). "الخطاب الشعري بوصفه أيديولوجيا". مجلة فصول. ٥(٤). ترجمة حسن البنآ. ص ١٠٣.

(٣) يُنظر الآيات: (٩٢) المائدة+ (٣٥ و ٨٢) النحل+ (٤٤) النور+ (١٨) العنکبوت+ (١٧) پس+ (١٢) التغابن.

(٤) يُنظر الآيات: (٢٠) آل عمران+ (٩٩) المائدة+ (٤٠) الرعد+ (٤٨) الشورى. البيان والتبيين: ج ١ / ص ٧٦.

إنَّ ما يدعمُ ما نذهبُ إليه: هذا النصُّ الذي يُفصِّحُ فيه الجاحظُ عنْ توجيهه لِنَصِّ العَتَابِي الذي أشارَ فيه إلى أنَّ "كُلَّ مَنْ أَفْهَمَكَ حاجَةً مِنْ غَيْرِ إِعَادَةٍ وَلَا جُبْسَةٍ وَلَا اسْتَعْانَةٍ فَهُوَ بِلِيْغٍ"، حيثُ أشارَ إلى أنهُ لا يَعْنِي "أَنَّ كُلَّ مَنْ أَفْهَمَنَا مِنْ مَعَاشِ الْمُؤْلِدِينَ وَالْبَلَيْلَيْنَ قَصْدَةٌ وَمَعْنَاهُ بِالْكَلَامِ الْمَلْحُونُ، وَالْمَعْدُولُ عَنْ جَهَتِهِ، وَالْمَصْرُوفُ عَنْ حَقِّهِ، أَنَّهُ مَحْكُومٌ لَهُ بِالْبَلَاغَةِ كَيْفَ كَانَ"، وأنَّ "مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْبَلَاغَةَ أَنْ يَكُونَ السَّامِعُ بِقَهْمِهِ مَعْنَى الْقَافِلَ، جَعَلَ الْفَصَاحَةَ وَالْلَّكْنَةَ، وَالصَّوَابَةَ، وَالْإِغْلَاقَ وَالْإِبَانَةَ؛ وَالْمَلْحُونَ وَالْمُعْرَبَ، كُلُّهُ سَوَاءَ، وَكُلُّهُ بَيَانًاً، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ بَيَانًاً...، وَإِنَّمَا عَنِ الْعَتَابِيِّ إِفْهَامَكَ الْعَرَبَ حَاجَتَكَ عَلَى مَجَارِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْفَصَحَاءِ"^(١).

وَعَلَقَ أبو هلال العسكري (ت. ٣٩٥ هـ) على نصِّ العَتَابِي بمضمونِ الجاحظِ، فقال: " وإنما عَنِ: إنَّ أَفْهَمَكَ حاجَةً بِالْأَفْلَاظِ الْحَسَنَةِ، وَالْعَبَارَةِ التَّيَّرَةِ فَهُوَ بِلِيْغٍ، وَلَوْ حَمَلَنَا هَذَا الْكَلَامُ عَلَى ظَاهِرِهِ لَلزَّمَ أَنْ يَكُونَ الْأَكْلُ بِلِيْغًا؛ لَأَنَّهُ يُفْهَمُنَا حاجَتَهُ، بَلْ وَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ النَّاسِ بِلَغَاءِ حَتَّى الْأَطْفَالُ؛ لَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَا يَعْدُمُ أَنْ يَذَلَّ عَلَى غَرَبَضِهِ بِعُجْمَتِهِ أَوْ لَكْتَهِ أَوْ إِيمَائِهِ أَوْ إِشَارَتِهِ، بَلْ لَزَمَ أَنْ يَكُونَ السَّنَوْرُ بِلِيْغًا؛ لَأَنَّا نَسْتَدِلُّ بِضَغَائِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ إِرَادَتِهِ، وَهَذَا ظَاهِرُ الإِحْالَةِ"^(٢).

وقد نحا المحدثون هذا المنحى فوجدنا ريمون طحان وهو يُعرِّفُ الأسلوبَ لا يخرجُ عن الأسس العامة للخطاب الناجح التي جاءت عن الأسلاف، يقول: "اللغة بناءً مفروضٌ على الأديب من الخارج، والأسلوبُ مجموعةً من الإمكانيات تتحققها اللغة، ويستغلُّ أكابرُ قدر ممكِّن منها الكاتبُ الناجحُ، أو صانُّ الجمال الماهر الذي لا يهمُه تأدية المعنى وحسب، بل يبغي إيصال المعنى بأوضحِ السُّبُلِ وأنجحها وأجملها، وإذا لم يتحقق هذا الأمرُ فشللُ الكاتبُ وأنعدَم معه الأسلوب"^(٣).

وأيًّا يكن الأمرُ فإننا نخلص - مما سبق - إلى أنَّ الرسالة الإعلامية يتطلبُ نجاحُها في الوصول إلى الفئة المستهدفة، وتحقيق أهدافها فيها مقرَّةً متميزةً من منتجها على استكشافِ خصائصِ المُسْتَقْبِلِ وحاجَتَهُ، وانتقاء ما يلائمهُ من أساليبِ الخطابِ ووسيلةِ إيصالِهِ ولاسيَّما اللغةُ السليمةُ الفصحيَّةُ، والاستفادةُ من المقام في إذاعةِ المضمونِ أو إخراجِه إلى المَلَأِ، فلكلَّ مقامٍ مقالٌ، كما قال شعراً وعلمواناً من قبل.

قال الشاعرُ الجاهليُّ زهيرُ بنُ أبي سُلْمَى: (الوافر)

وَلَوْلَا أَنْ يَنَالَ أَبَا طَرِيفٍ
عَذَابٌ مِنْ مَلِيكٍ أَوْ نَكَالٌ
لِكُلِّ مَقَامٍ ذِي عَانِ مَقَالٌ
لَمَا أَسْمَعْتُكُمْ قَدْعًا وَلَكِنْ

(١) المصدر السابق: ج ١/ ص ١٦١-١٦٢.

(٢) العسكري، أبو هلال. (١٤٠٤ هـ = ١٩٨١ م). الصناعتين: الكتابة والشعر. ط١. تحقيق د. مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت. ص ٢٠.

(٣) الأنسنة العربية. ج ٢. ص ١١٦-١١٧.

وقال الحُطَيْثُ: (المتقارب)

تَحَنَّ عَلَيْهِ دَاهِكَ الْمَلِكِ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقاَمًا

شواهد أدبية من الخطاب التراثي

يقع المطلّุ على تراثنا الأدبي على مواقف طريفة تتوهّ بنجاح المنتج أو فشله في توصيل خطابه أو رسالته إلى المتلقى، وإنّ من الشواهد الدالة على النجاح في تحسين مدارك المخاطب ومطالبه ما جاء عن بشار بن برد في جاريته رباب، حيث قال فيها: (الهزج)

ربابة ربة البيت تصبُّ الخَلَ في الزيت لها عشر دجاجاتٍ وديكٌ حسن الصوت

ولما رأى الناقدُ مغايرةً هذا الشعر لأسلوب بشار المتنين الجازل قال: "إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت... بيئتما تقول شعراً تثير به النفع، وتخلع به القلوب، مثل قولك من الطويل:

إذا ما غضبنا عصبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة دري مثير صلّى علينا وأسلمَا

فرد بشار قائلًا: "أكل شيء وجهه وموضعه"، فهذا "الفول... جد، وهذا" قلتُه في ربابة جاريتي، وأنا لا أكل البيض من السوق، وربابة هذه لها عشر دجاجاتٍ وديكٌ، فهي تجمع البيض لي وتحفظه لي عندها، فهذا قوله عندها أحسن من:

ففنا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل

عندك" (٢).

ويعرض ما جاء عن الشاعر والناقد في الميزان النقدي نرى أنَّ هذا الناقد قد فشل في الارتقاء إلى بلاغة الشاعر الألمعي بشار، وإدراكه مقدرتها في تلبية متطلبات المخاطب؛ ولو كان غير ذلك لما وجدناه يعقب على ردّ بشار قائلًا: "وهذا عذرٌ غير واضح، وهو باستناف ذنب أولى، وقد كان يسعه أن يقول ما تفهمه الأمة، ولا يسقط هذا السقوط، وما الذي أحوجه إلى أن يدؤنه ويبروي عنه؟، وأي حجة له في البيتين الأوليين لولا الزلل والنقص المستوّليان على البشر" (٣).

إنَّ الناقد - كما هو واضح - يريـد لخطاب الشاعر بشار أن يكون على نمطٍ واحدٍ في المبني والمعنى بغض النظر عن مستوى المستقبل أو اختلاف المقام أو المضمون، وهو النـمط الذي

(١) هناك رواية أخرى تقول: "هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما" و"هتكنا سماء الله أو قطرت دما".

(٢) الأغاني: ج ٣ / ص ١٥٦.

(٣) بن حمدون. محمد بن الحسن. (ت ٥٦٢ هـ). الذكرة الحمدونية. (ينظر الموسوعة الشعرية).

يناسبُ مستوى الأديب والناقد وغيرهم من أرباب الكلام، وهو أمرٌ غيرُ معقول؛ فالناسُ - كما خلقَهُم اللهُ: (سبحانه وتعالى) - متفاوتون، ولكن يصل المخاطب إليهم لا بدَّ لهُ أن يُخاطِلُهم على قُدر عقولهم.

ومن مراعاة بشار للمقام وفشل الناقد في إدراك كنه إبداع الأديب ما جاءَ عن الأصمميَّ حيثُ يَرْوِي أنَّ أباً عمرو بن العلاء وخلفَ الأحمرَ قد سألاً بَشَاراً عن القصيدة التي أحدثَها في سلم بن قتيبة، فأجابَهم: "هي التي بلغتكم، قالوا: بلغنا أنك أكثَرْتَ من الغريب، قال: نعم، بلغني أنَّ سلم بن قتيبة يتَبَارَأُ بالغريب؛ فأحببْتُ أنْ أورَدَ عليه ما لا يَعْرِفُ، قالوا: فأَشَدَّناها يا أبا معاذ، فأشدَّهما".

بَكْرًا صاحِبِيَّ قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ التَّجَاجَ فِي التَّكِيرِ

حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قُلْتَ يا أبا معاذ مكان: (إنَّ ذاكَ التَّجَاجَ فِي التَّكِيرِ)

بَكْرًا فَالْتَّجَاجُ فِي التَّكِيرِ

كان أحسن.

قال بشار: إنَّمَا بَنَيْتُهَا أَعْرَابِيَّةً وَحْشَيَّةً، فقلت:

إِنَّ ذَاكَ التَّجَاجَ فِي التَّكِيرِ

كما تقول الأعرابُ الْدَّوَيْوَنُ، ولو قلت: (بَكْرًا فَالْتَّجَاجُ) كان هذا من كلام المؤلَّفين، ولا يُسْبِبُ ذاكَ الكلام، ولا يدخلُ في معنى القصيدة.

قال: فقام خلفٌ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ! ^(١)

ومن ذلك أَيْضًا ما يرويه الرواة أنَّ جَرِيرَ بنَ عَطِيَّةَ الْخَطْفَيِّ دخلَ على عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فابتداً يُشَيِّدُ:

أَتَصْنُحُو أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِ

قال له عبدُ الملك: بِلْ فُؤَادُكَ يَابْنَ الْفَاعِلَةِ؛ كأنَّه استنقَلَ هذه المواجهة، وإنَّ فقدَ عِلْمَ أَنَّ الشاعرَ إنَّمَا خاطَبَ نَفْسَهُ! ^(٢)

وَدَخَلَ الشَّاعُورُ نَوْ الرُّمَّةِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَابْتَدَأَ مِنْشَدًا:

(١) دلائل الإعجاز: ص ١٨٠ - ١٨١. ويُنظر: الفزوياني، جلال الدين. (١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م). الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والدين). ط١. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ص ٢٥.

(٢) يُنظر في كتاب العدة. ج ١/ ص ٢٢. ويُنظر الرواية في: العقد الفريد. ج ١/ ص ٣٣٠ + سر الفصاحة. ص ١٨٤ + القرطاجي، أبو الحسن حازم. (١٩٨١ م). منهاج البلاغة وسراج الأدباء. ط٢. تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ص ١٥٠. ويُنظر شواهد أخرى على مغايرة قُولُ المخاطب لما يريده أن يقول المخاطب المنشي في: العدة "باب المبدأ والخروج والنهاية". . ص ٢١٧ - ٢٤١. وسر الفصاحة. ص ١٨٣ - ١٨٤. ومنهاج البلاغة. ص ١٤٨ - ١٥٠.

"ما بال عينك منها الماء يُسْكِبُ"

وكان بعين عبد الملك بن مروان ريشة، وهي تندمُ أبداً، فَتَوَهَّمَ أَنَّهُ خاطئٌ أو عَرَضَ بِهِ،
فقال: وما سُؤالك عن هذا يا جاهلاً؟!؛ فَمَقْتَهُ وأَمْرَ بإِخْرَاجِه^(١).

أقول:

نخلصُ مما سبقَ إلى أنَّ براعة المنتج تتجلى في المفاجلة بينَ عناصرِ الشكل والمضمونِ
والمقام^(٢) "context of situation" في خطابه لغيره، وإنَّ حالةِ مضمون الخطابِ بأ نوعِهِ
المختلفة إلى واقعِ حقيقيٍ يخصُّهُ المستقبل ليتَنَجَّهُ لغيره أو ليسيرَ في ركبِهِ تتطلَّبُ - في المقامِ
الأول - التَّجَاحُ في الوصول إلى مستوىِ المتنلقيِ واحتياجاتهِ؛ فلا يُطيلُ عندَ الآباءِ وذويِ المعرفةِ
والاختصاصِ، ولا يوجزُ عندَ مَنْ ليس لهم درايةً أو طولَ عشرةٍ في مدارِ المضمونِ؛ الأمرُ الذي
يُسْنِهمُ - بلا رَيْبٍ - في تسرُّعِ إيصالِهِ إلى المُتَنَلِّقيِ، ويُوقِعُهُ فيهِ الموقَعُ الذي أَرِيدَ لَهُ، وقد أشارَ
بلغاؤنا وعلماؤنا الأوائلُ إلى ذلك، فقال ابن قتيبة: "ولو كان الإِيجازُ محموداً في كلِّ الأحوالِ
لَجَرَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَفْعُلْ اللَّهُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ أَطَالَ تَارَةً لِلتَّوْكِيدِ، وَحَذَفَ تَارَةً لِلِّإِيجازِ،
وَكَرَّرَ تَارَةً لِلِّإِفْهَامِ".

أدواتُ صانعِ الخطابِ:

قديماً قال نقادنا العرب: "الشعر صناعة وثقافة"^(٣)، ووصفو الشاعرَ بالساجِ الحاذقِ،
والنقاشِ الرفيقِ، وناظمِ الجوهر^(٤)، وأقول: الخطابُ - أيًّا كان نوعُهُ - صناعة وثقافةً أيضاً،
ولابدَ للصانعِ أيًّا كانت صنعتهِ - كما هو معروف - من أدواتٍ يَتَفَقَّهُ بها حتى يتمكَّنَ من إتقانِ
صناعتهِ والتمَّرس الناجحِ فيها.

وإنَّ من أهمِ أدواتِ صنعةِ الخطابِ الإعلاميِّ إضافةً إلى ما ينبغي له التَّميُّزُ بهِ من ذكاءٍ
وسُرعةٍ بديهيةٍ أو فطنةٍ ونباهةٍ وفراسةٍ، والتَّحلي بِالأخلاقِ الحميدة.

(١) العدة. ج ١ / ص ٢٢٢. ويُنظر الشاهد في: سر الفصاحـة: ١٨٣.

(٢) ويسمى أيضاً: سياق الموقف أو سياق الحال أو مسرح الكلام.

(٣) يُنظر على سبيل المثال: الجمحي، محمد بن سلام. (د.ت). طبقات الشعراء. إعداد اللجنة الجامعية للنشر التراث العربي. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت. ص ١٨٣.

(٤) تراث ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م. نقد الشعر. ط ١. تحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي. الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. ص ٦٤ + الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكنائسي. (١٩٣٨ م). الحيوان. ج ١. الناشر: مكتبة مصطفى البافى الحلبى. القاهرة. ص ٤٠ + ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (ت. ٤٤٩ هـ).

(٥) تراث ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م. مقدمة ابن خلدون. ط ٦. دار القلم. بيروت. لبنان. ص ٥٧١ + ٥٧٤ + ٥٧٧ . الخ.

(٦) يُنظر على سبيل المثال: عيار الشعر. ص ١٩ - ٢٠.

التضلع في اللغة وأساليب القول فيها

حيث تُشكّل اللغة زادًا مُهمًا للإعلامي؛ والزاد اللغوي هو هذا المحصول من أنظمة اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية الذي يكتسبه الإعلامي أو الأديب أو أي إنسان من خلال مطالعته وممارسته وتجاربه اليومية في مجالات الحياة منذ مولده حتى يومه الذي يحياه؛ فالإنسان ما دام يحيا الحياة ويشارك فيها يكتسب المعنى والتجربة واللفظ الدال على تنمية مجالات اكتسابه، وكلما كان محصلو من اللغة واسعًا استطاع ولوج الموضوعات المتعددة، وتتمكن من توسيع أساليب خطابه وملاءنته لمستوى المتفق.

وفي مجال الزاد اللغوي نرى أنه يتوجّب على الإعلامي فيه المحافظة على سلامة تطبيق القاعدة، وقد كانت العرب في العصور القديمة تَنَفِّرُ من اللحن، الأمر الذي ما نزال نلمسه في كثير من المؤتمرات أو الندوات أو الخطب الدينية وخطب الرؤساء وكلمات أهل السياسة، أو مرافعات المحاكم، أو اللقاءات العامة بصفة عامة؛ حيث يُفصّح كثير من الناس من تبرّعهم من الأغلاط اللغوية التي يقع فيها بعض المتحدثين أو المُلقين، لذا فإنك ترانا في مقامات عَدَّةٍ ننص على ضرورة امتلاك الإعلامي لغة السليمة، ونناصيه بيانها المُفصّح.

وفي هذا المقام نرى أنه يتوجّب على كليات الإعلام والسياسة والشريعة وأصول الدين تعزيز تقافة خريجيها في علوم اللغة العربية من أدبٍ ونحوٍ وبلاغةٍ ونقدٍ وعرض... إلخ، وأنْ تُسندَ مهمة تدريسيها إلى أساتذةٍ أكفاءٍ يُتقنون أصول حرفية شهادتهم؛ حيث تُشكّل هذه اللغة ذخيرة السنّتهم وأفلامهم عندما يُباشرون التحدث والكتابة في ميادين عملهم.

وفي مجال كليات الإعلام والسياسة ومعاهدها العالمية ينبغي ربط الطلبة بمقرراتٍ دينية كالقصیر والفلسفة الإسلامية، والحديث النبوی الشريف، وإتقان مخارج الأصوات وصفاتها من خلال قراءة القرآن الكريم بل تجويده وحفظ آياتٍ و سور منه.

وقد وجدنا كثيراً من كبار الشعراء والمُكتّاب الأوائل يلتفتون إلى محفوظهم من القرآن والشعر ونصوص الخطب والأمثال والأقوال المأثورة؛ وكيف كان لهم منهاً يلجأون إليه عند الحاجة، وقد نصَّ حُدّاقُ علماء العربية على أنه لا بدَّ للكاتب من النظر في جمل الفقه، ومعرفة أصوله: من حديث رسول الله ﷺ وصحابته^(١).

وما كان هذا الاتجاه الرابط بين اللغة والإعلام إلا لأننا نؤمن بيماناً عميقاً بأدوار وسائل الإعلام المتعددة في خدمة اللغة، وإذاً اللفظ العربي الفصيح وتراثه السليم، ونحن نرى أن دور الإعلاميين لا يقتصر على النشر أو الانتصار لهذا المصطلح أو ذاك؛ فالإعلامي الضليع في لغته والخبير باللغة التي يَقْلُلُها معاصره قادر - بلا شك - على الابتكار أو الوقوع بحسه اللغوي على البدائل العربية التي يشعر بإمكان قبول الجمهور العربي لها؛ الأمر الذي يتجلّى إدراكه في مواطن الترجمة المباشرة، أو ما يُسمى بالترجمة الفورية.

(١) أدب الكاتب. ص ١٥.

وإذا كنا في هذا المقام قد سجّلنا للإعلامي الحاذق في لغته دوراً إيجابياً في مدها بمعان جديدة وألفاظ مبنية على أساس معيارية سليمة فإن هناك في المقابل هذا الإعلامي غير المتمكن من لغته، أو المستهتر بها، أو المهاجم لها؛ الأمر الذي يجعل اللغة على لسانه أو قلمه ضعيفة، أو مليئة بالأخطاء والأوضاع المخالفة لمعايير القواعد السليمة.

- **إنقاذ إحدى اللغات الأجنبية:**

الأمر الذي يمكنه من الاطلاع على ثقافة أصحاب اللغة التي يجيدها، ويعينه على اختيار الخطاب المناسب.

- **إجادة مهارات الحاسوب والاتصالات الحديثة:**

حتى يتمكن من الاستفادة من التقنيات الحديثة في التواصل والإحاطة بكل جديده في مجال مهمته.

- **وجوب التدريب المتكرر في مجالات الحوار والكتابة بالفصيحة في ميادين الحياة المتنوعة:**

وذلك من خلال العناية بفن الإلقاء والحوار؛ وفن التحرير الصحفى والإذاعي؛ ولغة الإعلان؛ فلكل فن أو عمل بصفة عامة خصائصه أو قواعده التي ينبغي لصاحبها هضمها وامتصاصها لتصير جزءاً من مكوناته كيانه، أو إن شئت فقل بلغة القدماء: لتصير فطرة أو ملائكة أو سليلة تملأه من التمرس والإجاده والافتتان في تطبيقها دون عناء أو مكابدة، ولا يكون ذلك إلا بالتدريب المتكرر الذي يشرف عليه أساتذة وخبراء مُفتَّشون مُتمرسون.

- **إمام جيد ومتواصل بأحوال مجتمعه:**

ولاسيما الخاصة بالموضوعات والبرامج التي تدخل في مجال عمله، يقول ابن قتيبة: "ولابد له - مع ذلك - من دراسة أخبار الناس، وتحفظ عيون الحديث؛ ليدخلها في تضاعيف سطوره متمنلاً بها إذا كتب، ويصل بها كلامه إذا حاور"^(١).

ومتى تمكن الإعلامي من التعرُّف على أحوال مجتمعه فسيكون قادرًا على إدراك متطلبات صياغة خطابه ليكون مطابقًا لمقتضى الحال، وموافقًا للغرض الذي أنشئ لأجله.

- **ضرورة التنقيف الثقافية الموسوعية غير المحدودة بحدود الوطن أو التخصص:**

ونرى أنه ينبغي للإعلامي - إلى جانب ثقافته المحلية أو القومية أو الدينية - التمتع بثقافة عالمية تملأه من استيعاب مما يدور حوله في أصقاع العالم المتقاربة والمتباعدة.

(١) السابق: ص ١٦.

إنَّ امتلاكَ الإعلاميِّ لثقافَةٍ موسوعَةٍ وأُمَّيَّةٍ نرَاهُ شرْطًا ضروريًّا، وخاصَّةً في هذه الأيام التي غدا الكونُ فيها بحكم تطُورِ وسائل الاتصال التي تُمكِّنُ من يلْجُ في مهاراتها من أنْ يتصلَ بغيره- كتابةً وحديثًا وصورةً- في أية بُقَعَةٍ من بقاع الوجود الإنسانيِّ في لمح البصر.

وقد وجدنا من العلماء من أشار إلى أهمية هذا الجانب في عمل الكاتب، أو إنْ شئتَ فقل: في عمل الإعلاميِّ مجال اهتمام هذه الدراسة؛ فابن قتيبة (ت. ٢٧٦ هـ) مثلاً وجده يتبَّه على أنه لابدَ للكاتب مع الكتب أو الأبواب التي قَمَّها له في كتابه "أدب الكاتب" من النظر في الأشكال لمساحة الأرضين؛ حتى يعرفَ المثلث القائم الزاوية، والمثلث الحاد، والمثلث المنفرج، ومساقط الأحجار، والمربيَّات المختلَفات، والقسيَّي والمدورات، والعمودَين، ويتحسن معرفته بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر؛ فإنَّ المَحْبُّ لليسَ كالْمُعَايَن" (١).

ولفتَ إلى أنَّ العجمَ أيضًا نبهَت إلى أهمية سَعَةِ علم الكاتب وعارفه، وأنَّ "مَنْ لم يكن عالِمًا بإجراء المِيَاه، وحَفَرَ فُرَضَ المُشارِب، ورَدَّ المَهَاوِي، ومجاري الأَيَام في الزيادة والقصُور...، ودقائق الحساب؛ كان ناقصًا في حال كتابته" (٢).

الخطابُ الإعلاميُّ الفلسطينيُّ المعاصر:

و قبلَ أن نقفَ عند بعض ظواهرِ عامَّة في الإعلام العربيِّ الفلسطينيِّ نوَّدُ أن نشيرَ إلى أنَّ تَحْصُنَنا للشوَاهدُ الأدبية السابقة التي استعرضناها في هذه الدراسة قد ينقُضُنا في التمييز بين نوعين من الخطاب:

نوعٌ من الخطاب يُراعي المخاطبُ فيه المقام أو السياق، وآخر يكشفُ فيه المخاطبُ عن إمكاناتهُ القوية في التعبير، وقد لا يخلو هذا النوع أيضًا من تأثير المقام أو المخاطب كما في قول بشار: (إنَّ ذاكَ النَّجَاحَ في التَّكْبِيرِ).

و عليهِ فإننا في مجال الخطاب الإعلاميِّ نرَى أنَّ نجاحَه أو تميُّزه لا ينبعُ من يُقاسَ بمعاييرِ البلاغة الرَّاقِيَة أو الأسلوب الأدبيِّ الرَّفيع، وإنما بمقدارِ فُذْرَةِ صاحبه على الوصول إلى تحقيقِ أهدافِ منه، والتَّأثيرُ في نفوسِ ساميِّيه دون مُخالفةٍ لقواعدِ السلامَة اللُّغويَّة؛ فهو خطابٌ مُؤْمِنٌ يُسْعى إلى كسبِ المُلْتَقِي أو المخاطبِ لتبنيِ وجهةِ النَّظرِ التي يُروِّجُ لها، وتحقيقِ مصالحة، ويلجأ دومًا إلى استئثار المعنى الهامشيِّ لمفرداتِ اللغة وتراكيبها التي لها معانٍ رئيسَةٍ ينصرفُ الذهنُ إليها عند سماعِ نطقها، وأخرى هامشيةٍ يمكنُ الاعتمادُ عليها في التأويل أو التحرير أو التضليل.

و يمكنُ تسميةً أيضًا بـ"خطاب المَفْعَة" أو "خطاب الْأَفْعَى"، ويتجلَّ في مجالاتِ الخطاب السياسيِّ ولاسيَّما إعلام الشعوب المتصارعة، ومن أهمِّ خصائصِه تغييرُ الحقائق، والتلوُّنُ المتَّسِقُ وتحقيقِ مَأْرِبِ السياسيِّ، فإنَّ راعي مقاماً فإنه قد يخالفُ آخرًا، وهو ما سنتولى الإشارة إلى شواهدَ منه في مجال الإعلام العربيِّ ولاسيما الفلسطينيَّ فيما سيأتي من سطور هذه الدراسة.

(١) السابق: ص ١٥.

(٢) يُنظرُ السابق: ص ١٥.

من مظاهر الخطاب المُتَفَعِّي:

و سنعرض في هذا المقام بعضاً من مظاهر هذا الخطاب العامّة والخاصّة، و نعني بالعامّة ما يُشكّل ظاهراً إعلاميّة عامّة نلمسها في وسائل الإعلام بصفّة عامّة والإعلام الفلسطيني أيضاً، أما الخصوصيّة في هذا المقام فتتمثلُ في مضمون الإعلام الفلسطيني وشواهده الحيّة المستقلة من وسائل الإعلام الفلسطيني، وذلك على النحو التالي:

- التزوير الدلالي:

أو إنْ شئتَ فقل: "التَّزَوِيرُ الدَّلَالِيُّ"، و يتجلّى اللجوءُ إليه في اثناءِ الْحُرُوبِ و الصّراعاتِ السياسيّة، و يلجأُ إليه أطرافُ الصراع لخدمةِ مَارِيَّبِهِمْ، حيثُ يَكْثُرُ الْكَذْبُ و التَّدْلِيسُ و التَّمْويهُ و الدَّعَايَةُ المُغَرَّضَةُ، و يكونُ اللُّغَةُ بِلِ التَّلَسُّنِ دُورُ رَئِيسٍ فِي الصراعِ؛ حيثُ يعتمدُ كُلُّ فريقٍ على تسييرِ إمكاناتِ اللُّغَةِ لخَدْمَةِ مَوَاقِفِهِ السِّياسِيَّةِ، وَقَهْرِ حَصْمِهِ، و اضعافِ روحِهِ المعنويةِ.

ونقصدُ بالتزوير الدلاليـ في هذا المقامـ قلبُ الحقائقـ أوـ هوـ هذا التحريفـ المقصودـ لأفاظـ من اللغةـ و تراكيبيـها عنـ مقامـاتـ الدلالةـ المـاؤـلـةـ لهاـ^(١)ـ؛ بـعـيـةـ التـضـليلـ، و خـدـمةـ مـصالـحـ الـلاـجيـئـينـ إـلـيـهـ، و ذلكـ بـإـطـلاقـهاـ عـلـىـ مـعـانـيـ مـغـاـيـرـةـ لـمـعـانـيـ الـحـقـيقـيـةـ الـأـصـيـلـةـ لـهـ، بـعـضـ الـنـظرـ عـنـ صـيـدـ الـدـلـالـةـ عـلـىـ الـحـدـثـ، أـوـ نـظـرـةـ الـخـصـمـ إـلـيـهـ، و أدـوـاتـ الـلـفـظـيـةـ و التـرـكـيـبـةـ فـيـ التـعـبـيرـ عـنـهـ؛ فـالـمـهـمـ فـيـ هـذـاـ كـلـهـ أـنـ تـنـقـقـ مـعـانـيـ هـذـهـ الـأـفـاظـ و التـرـاكـيـبـ و أـهـدـافـ مـُطـلـقـيـهاـ و رـوـيـتـهـمـ لـلـحـدـثـ أـوـ الـمـوـقـفـ، وـ سـنـقـفـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ عـنـ بـعـضـ الشـوـاهـدـ الـدـالـلـةـ عـلـيـهـ.

و من ذلك ما نلمسه في الإعلامين الفلسطيني والعربي؛ والاحتلالي الإسرائيلي والمتّحالف معهـ، فـ"الـعـمـلـيـةـ الـدـادـيـةـ" وـهـيـ دـالـلـةـ عـنـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ وـالـعـربـ عـلـىـ مـعـانـيـ الـبـطـولـةـ وـالـافتـداءـ وـالـشـرـفـ يـسـمـيـهـاـ الـإـعـلـامـ الـاحـتـلـالـيـ الـمـضـادـ؛ "عـمـلـيـةـ تـخـرـيـبـيـةـ"؛ وـ"مـنـظـمـةـ التـحرـيرـ" أـوـ "حـرـكـاتـ الـقاـوـمـةـ" هـيـ فـيـ الـإـعـلـامـ إـلـيـهـ، وـأـدـوـاتـ الـلـفـظـيـةـ و التـرـكـيـبـةـ فـيـ التـعـبـيرـ عـنـهـ؛ فـالـمـهـمـ فـيـ هـذـاـ كـلـهـ أـنـ تـنـقـقـ مـعـانـيـ هـذـهـ الـأـفـاظـ و التـرـاكـيـبـ و أـهـدـافـ مـُطـلـقـيـهاـ و رـوـيـتـهـمـ لـلـحـدـثـ أـوـ الـمـوـقـفـ، وـ سـنـقـفـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ عـنـ بـعـضـ الشـوـاهـدـ الـدـالـلـةـ عـلـيـهـ.

و هو تزويرـ للمـعـانـيـ يـتـرـدـدـ صـدـاـهـ عـنـ الـمـحـتـلـيـنـ فـيـ أيـ مـكـانـ، كـاـحتـلـلـ الـأـمـرـيـكـاـنـ لـأـفـغـانـسـتـانـ وـالـعـرـاقـ مـثـلاـ، وـالـأـثـيـوبـيـنـ لـلـصـومـالـ، حـيـثـ بـاـتـ التـرـوـيـجـ لـهـ بـأـنـهـ تـحرـيرـ وـنـشـرـ للـحـرـيـةـ وـالـاسـتـقـرارـ، وـإـعـمـارـ لـلـبـلـادـ، مـعـ مـلـاحـظـةـ كـيـفـ أـنـ اـسـتـعـمـلـ كـلـمـةـ "إـعـمـارـ" فـيـ هـذـاـ المـقـامـ الـاغـتصـابـيـ يـذـكـرـنـاـ بـكـلـمـةـ "إـسـتـعـمـارـ" الـتـيـ تـدـوـرـ مـعـانـيـهـ فـيـ لـسـانـاـنـاـ الـعـرـبـيـةـ حـوـلـ الـعـمـارـ وـالـتـعـمـيرـ أـوـ الـبـنـاءـ، ثـمـ اـحـطـتـ دـلـائـلـهـاـ عـلـىـ أـيـديـ الـمـزـوـرـيـنـ وـأـذـنـابـهـمـ لـتـدـلـلـ عـلـىـ مـعـانـيـ الـاغـتصـابـ

(١) ولعل هذه الظاهرة المقصودةـ - فـيـ هـذـاـ السـيـاقـ - يـصـدـقـ عـلـيـهـ قـوـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ: "يـحـرـفـونـ الـكـلـمـ عـنـ مـوـاضـعـهـ". يـنـظـرـ: سـوـرـةـ النـسـاءـ الـآـيـةـ: ٦ـ، وـسـوـرـةـ الـمـانـدـةـ الـآـيـةـ: ١٣ـ. وـقـوـلـهـ أـيـضاـ: "يـحـرـفـونـ الـكـلـمـ مـنـ بـعـدـ مـوـاضـعـهـ" الـمـانـدـةـ الـآـيـةـ: ٤ـ.

والاحتلال والإذلال، وهو المعنى الذي طغى على معناها الأول الدال على الخير والانتعاش، ولم يسلم من استعماله أبناء الشعب العربية ومنها المغتصبة، وبذلك دخلت الكلمة بمعنييها الأصيل الأول، والدَّخْلُ المخْتَرَعُ في مجال الأضداد.

وانظر إلى هذا الحَرْفُ الدَّلَالِي الذي لا يَسِّرُ كلامه "مُسْتَعْمَرَة" المشتقة من جذر الكلمة السابقة (ع. م. ر)، إذ أطلقها المغتصبون على أراضي يستولون عليها بطرقهم غير المشروعة ليقيموا فيها منازل لهم، ومساريع زراعية أو صناعية أو غيرها.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنَّ محترفي التزوير الدَّلَالِي عندما تتبهوا إلى تحول دلالة مصطلحهم "مستعمرة" إلى معانٍ الاغتصاب والسيطرة غير المشروعة في أذهان أهل الأرض عملوا على إيهادهم عنه، واستعملوا كلمة "مستوطنة"، وأذاعوا معها كلمات "استوطن" و "الاستيطان" و "المستوطن" و "المستوطنين".

وكما هو ملحوظ فقد وقع أكثر ساستنا ومحليانا وإعلامينا في برانش هذا الحَرْفِ بل التزوير الدَّلَالِي الخبيثة نوايا أصحابه، حيث وجدنا أكثر وسائل الإعلام العربي والفلسطيني في مجالاته المتنوعة كالإذاعة المسموعة والمرئية والصحافة الورقية والإلكترونية واللقاءات والبرامج السياسية وغيرها تستعمل هذه المفردات، ووجدنا القلة تتبع لهذا الحَرْفِ الدَّلَالِي فتسعمل كلمات "اغتصب" و "الاغتصاب" و "المغتصب" و "المغتصبين".

- الترجمة المقاومة

إذا كان التزييف أو التحريف الدَّلَالِي من أهم خصائص الخطاب المُعَوَّلِ المرتكز على تسخير الأمور لصالح سَدَّنته فإننا نرى فيما اصطلحنا عليه بـ "الترجمة المقاومة" ، أو إن شئت فقل: بصفة عامة "مقاومة الضار في خطاب العولمة" . طريقاً مهماً ينبغي أن يلْجأَ له الناس ولا سيما الإعلاميون والساسة في الدُّوَّد عن هُويَّتهم، ومواجهة ما يُسْتَلِّبُ منها.

وللإعلامي الحصيف في هذا المقام دورٌ كبيرٌ في مقاومة الضار من الخطاب المُعَوَّل؛ فلَا ينقل لمستقبليه في مقالاته أو منشوراته المسموعة أو المكتوبة ما يتعارضُ ومصالحهم أو خصائصهم التي يتميزون بها، ويسعى أعداؤهم إلى اختراقها وهدمها.

ونقف في هذا المقام عند اللقاءات أو المؤتمرات الصحفية التي يعقدها الساسة أو الناطقون باسمهم لنتساءل عن مدى مقدرة الإعلامي المتردِّم على التعديل أو التكيف: هل يراعي مفاصِّل المنتج أو المخاطب حين يحرِّفُ الألفاظ والتراكيب عن دلالاتها لتُعبَّرَ عن معانٍه الضالة التي تخُدُّم مصالحة؟، أو هل يُغيِّرُ المعنى ليتحققَ ومفهوم المجتمع الذي يُشكِّلُ المقام الأصل الذي يعبرُ عن المعنى الحقيقي؟، وأين الموضوعية؟ وأين مراعاة المقال للمقام في هذا المجال؟

أقول:

إذا كان من وسائل المُعَوَّلِينَ تغييرُ معانٍ الألفاظ لخدمةِ مفاهيمهم وتحقيق مصالحهم فإنَّ محاربة هذه الجوانب الضارة في خطابهم الإعلامي أمرٌ لا مفرَّ منه، فمن الطَّبيعي أن يكون لكلٍّ

فعلٌ ضارٌ رُدّ فعلٍ معاكِسٍ لَهُ في الاتجاه، وأنَّ السياسة وتحقيقَ المصالح الوطنية. فيما نرى - ليس فيها مجالاً للعواطف أو الم موضوعية التي ينتجُ عنها الأذى والإضرار، ويُشكّلُ عملَ الترجمة الإعلامية مجالاً خصباً يمكن الاستفادة منه في توضيح مقاصد هذه الدراسة، وهو موضوع يمكن لطلبة الدراسات العليا في أقسام اللغة العربية والإعلام خوضُ غماره، وتقديم دراساتٍ جادَةٍ في تحليل اللغة والمضمون.

وعليه فنحن في هذا المجال نحتَّ المترجمين والكتاب والمتلقين والإعلاميين والساسة وغيرَهم على عدم التقييد في الترجمة إلى العربية بالمعنى الأصل للكلمة المترجمة عندما يخالفُ المضمون العربي النابع من البيئة العربية، والمعبر عن المقام العربي الأصيل.

ومن أمثلة ذلك كلمة "Terrorism" التي تعني "الإرهاب" أو "العنف"، ويستعملها المغتصبون في خطابهم للدلالة على مقاومة المغتصبين المقهورين وثورتهم وجهادهم ضدَّ قاتلِيهم ومغتصبي ثروات بلادهم، وهذا استغلالٌ غيرٌ أخلاقيٌ لأنَّه كما هو واضح يحرُّك الدلالة فلا يُسمّي المسميات بأسمائها الحقيقة التي أقرَّها موثائق الشرعية الدولية وقراراتُ الأمم المتحدة، وإنما يسميها بما يوافقُ هو مصالحه وماربه.

وفي مثل هذا المقام فإننا نرى ضرورة أنْ يُستَغْنَى عن المعنى الذي يريد المغتصبون إحلاله وترسيخه في الأذهان؛ ليسود عليه المعنى العربي المعبر عن حقيقة الأمور.

وفي مخاطبة مجتمع المعنى الراشد يتوجَّب على الساسة والمحللين والمترجمين وغيرَهم استعمال الكلمة الأجنبية الذلة على المفهوم العربي ليسَ غيرَه، وعليه فإنَّ استعمال كلمات "Resistance" أو "Revolution" في مثل هذا السياق هو المطلوب، أو "Intefadah" إنقاذه: دلالة على قومة الشعب الفلسطيني كله في مختلف طبقاته وب بيته المحتلة -: صغاراً وكباراً، نساءً ورجالاً. ضد الاحتلال الإسرائيلي الغاصب لحربيه وأرضيه، وهي دلالة عبرت عن جانبي منها، فقلت: (المتقارب)

حجارة طفل، ومقلاع شبل
وعكار شيخ، شجى التهار
وَدَعْوَةُ امٌّ، وَتَوْفِيقُ رَبٌّ
توحدَ كُلُّ فَكَانَ الْفَرَارُ
كَرْنَا فَرَنَا فَيْلَنَا أَسِرْنَا
ولَكِنْ عَدَنَا حَدِيداً وَتَارُ

إننا نؤكِّدُ في سياق الإعلام العربي ضرورة التركيز على اختيار الدلالة التي تعبِّرُ عن الفكر العربي عند الترجمة من اللغات الأخرى إليه، أو لغيره مما يخالفُ هوئيته أو معتقدَه أو فكرَه أو ثقافَته، وأنَّ يكون هناك تيقُّنٌ تامٌ لكلِّ ما من شأنه أنْ يمسَّ بدلَالات الألفاظ العربية كما يَعيها عَفْنُ العرب الجمعيِّ ومصالحهم في الحفاظ على دلالاتهم اللفظية والمعنوية.

وإنْ كانَ هناكَ بُدُّ من التقييد بالترجمة في النصوص الرسمية فإنَّ من واجبِ الرؤساء أو المسؤولين العرب أنْ يُصِرُّوا على اللفظ والمضمون الذي ينبعُ من أعمقِ الوعي الجماعي لمجتمعهم العربي، وإنَّ على المترجم والإعلامي الحاذق أنْ يلْجأ إلى التوضيح تتبَّيئاً للأذهان.

- عدم التّحرّي والتّسرّع في إعلان الخبر:

ومن دلائله ما اصطلاحَ على تسميته بـ "خبر عاجل"، وخاصةً في وقت القصف الإسرائيلي أو اجتياح الجيش الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، حيث التساؤلُ على نشر أخبار هذه الأحداث، الأمرُ الذي قد يوقعُ كثيراً في أخطاءٍ تمسُ بالمصداقية والمهنية، حيث عدم توخي المراسلين للدقة في وصف الحدث، وعدم تثبتهم من إحصاءات الجرحي أو الشهداء أو الأضرار، وعدم ترئيسيتهم في الإعلان عنها من خلال الجهات الرسمية المنوط بها هذه المهمة.

وتليّع المأساة أو وجهاً عندما يعلن المراسلو أو الإذاعة عن اسم شهيدٍ أو أكثر ثم تصرّح الجهات الرسمية المسؤولة كوزارة الصحة ممثلاً في إدارة المستشفى أو ناطقها الإعلامي الرسمي أسماءً أو أعداداً غير التي أذيعت أو أعلنت.

- عدم المصداقية:

يدفع الانتماء الحزبي أو الفصائلي أو الفكري أو المذهبي أو الطائفي أو العصبي إلى الانحياز ومحابية الإفصاح عن الحقيقة، ومن أمثلة ذلك في إعلامنا الفلسطيني:

** ما يحدث في الانتخابات، ومن ذلك ما جرى في انتخابات وزارة الحكم المحلي للبلديات، إذ وجدنا كلّ حزب أو فريق يُعلن فوزه قبل أن تصل الصناديق إلى لجنة الانتخابات العليا، وذاعت في مجال الانتخابات بصفةٍ عامّة كلمة (كبود) داللة على أحد معينين: الأول - اختيار الناخب أو المقترع لجميع أفراد قائمةٍ أو تحالفٍ، والآخر الدلالة على الاكتساح أو الفوز الساحق، والهزيمة للجانب المُنافِ.

وانقلبت هذه الكلمة من هذا المجال الإعلامي السياسي إلى مجال دلالي آخر حيث يستخدمها بعضُ الطلبة للدلالة على حصولهم على الدرجة النهائية في الامتحان.

** اظهار الأمر أو الوضع على أنه في أحسن صوره، وأنَّ بوادرَ الحال أو الاتفاق قريبة جداً، ولكنَّ هذه الوعود والأمانات تذهب زفراً، أصواتها أدراج الرياح فلا يكون لها أصداء بل صدى في أرض الواقع.

وَتَحَلَّتْ هذه الظاهرة في محاولات الاتفاق على وثيقة الأسرى أو إنْ شئت المصطلح الآخر وثيقة الاتفاق الوطني، ومحاولات تكوين حكومة الوحدة الوطنية، وفضَّ الاشتباكات المسلحة بين حركتي فتح وحماس، وإطلاق سراح الأسير الإسرائيلي وقرب الإعلان عن التوصل إلى صفقةٍ لإطلاق سراح أسرى فلسطينيين من السجون الإسرائيلي بدلاً منه... الخ.

- الاستغلال بما يهمُ الحزب:

نظراً للأوضاع الأمنية المضطربة، وتغلغل ظاهرة الفوضى والفلتان الأمني في أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية وخاصةً في قطاع غزة وجدنا السلطة ومنها وزارة الإعلام تقصد

سيطرتها التامة على وسائل الإعلام ولاسيما الخاصة التي يرتبطُ أكثرُها بالأحزاب والفصائل والحركات.

وعلى افتراض وجود خطأ إعلاميةً وطنيةً واضحةً تسيرُ وسائلُ الإعلام الفلسطينية وفقَ بُنودها فإنَّ فقدانَ السيطرة الرسمية، وعدمَ القدرة على الإلزام والمحاسبة يفتحُ الأبوابَ على مصاريعها ليتَفَدَّ منها ما يحققَ المصالح والمآربَ الذاتية ولاسيما الأهواء والأراء والأفكار الحزبية... إلخ.

إنَّ انجرارَ الإعلاميِّ المفترط ليكونَ ناطقاً بل بوقاً مُعبِراً بلسانِ ما يُمليه عليه أقطابُ الحزب أو أصحابُ المصالح الذاتية سيفقدُه المصداقية والموضوعية والحيادية؛ وسيجعله يتبعُ رويداً رويداً عما يصُبُّ في الصالح الوطنيِّ العام، وقد يُلْبِسُه في كثير من الأحيانُ البُشَّةُ هجوميةً، وأخرى واقيةً تَصُدُّ عن انتقامه بعيداً عن شرفِ الانتقام إلى موضوعية المهنة الإعلامية أو أمانةِ القلم.

وإذا كانت الهيمنةُ الحزبيةُ أو الفائدةُ المصالحيةُ الخاصةُ تشكّلُ مظاهرَ إعلاميةَ تحملُ في طياتها جوانبَ سلبيةٍ فإنَّ ما تحملُه من بعضِ فوائدٍ قد يدورُ أكثرُه في حدودِ المنافع الضيّقةِ التي ينبغي أنْ يُتنازلَ عنها للصالحِ الوطنيِّ العام.

إنَّ انشغالَ الإعلاميِّ الفلسطينيِّ بقضايا بلده في مواجهةِ الاغتصابِ ونتائجِ المأساويةِ لهُوَ المظهرُ المنفعيُّ العامُ الذي ينبغي أنْ يُسحرَ لهُ فكرةً وقلمَهُ، وهو المنهجُ الذي اختُطَّ وصاغَ دُرَرَهُ منْ قبْلِ وجْدَانِ الشعبِ الفلسطينيِّ الشاعرِ إبراهيم طوقان (ت. ١٩٤١) حين قال^(١):(مجزوء الرَّمل)

لَا لَحَرْبٌ أَوْ زَعْيمٌ	لَمْ قَبْلِيْ لِبَلَادِيْ
أَوْ صَدِيقٌ لِيْ حَمَّيْمٌ	لَمْ أَبْغِيْهُ لِشَفِيقِ
مَرَّةً غَيْرَ سَالِيمٌ	لَيْسَ مَذْكُورٌ لَوْ أَرَاهُ
نَيْطَ مَذْكُورٌ بِالصَّمِيمٍ	وَلِسَانِيْ كَفَرَ وَادِيْ
وَحَدِيدٌ يُشَبِّهُ دِيمَيْ	وَغَدِيدٌ يُشَبِّهُ يَوْمِيْ
لَا كَيْدٌ دَلَّا لَيْمٌ	لَمْ أَهَبْ غَيْظَ كَرِيمٍ
غَایَتِيْ خَدْمَةُ قَوْمِيْ	غَایَتِيْ قَائِيْ أَوْ تَعْيِمِيْ

وعليهِ فإنَّ هناكَ موضوعاتٍ أو قضايا يجُبُ على إعلامنا الفلسطينيِّ - أيًّا كانتُ الأحوال - ألا يُغفلَ الحديثُ عنها؛ لتبقى حيَّةً في ذاكرةِ المواطنِ العاديِّ، ومن هذهِ القضايا والمشكلات: النكبة، وتهويد القدس، والحفريات تحت المسجد الأقصى، ودعم المقدسيين، واللاجئين والنازحين

(١) طوقان، إبراهيم عبد الفتاح. (١٩٨٨م). قصيدة (غایتي). ديوان إبراهيم طوقان. دار العودة. بيروت. ص ٣٢٣.

وحقوقهم وعودتهم، والأسرى، والمقاومة، وعودة الأرض، وإقامة الدولة المستقلة، وجدار الفصل العنصري، والمناسبات الوطنية الهدافه، وبناء البيت الفلسطيني ... وهلم جرا.

إنَّ المتأملَ لخطابنا الإعلاميِّ المحليِّ المسموع والمُرئيِّ في أيام تفاصُل الأزمة الحزبية، وحدوثِ الاقتتال والنطاحن بين قطبيِّ الرّحْيِ: حركة "حماس" و "فتح" ليلحظُ أنه تسيّ أو تناسى هذه الموضوعات أو المخواطر المهمة في تاريخ النضال الفلسطيني؛ فلم يَعُدْ يعني بها عنايته بالرأيِّ الحزبيِّ الضيق، وإنْ بَرِى كلُّ منها مُولِبٌ على أخيه، ويُعلنُ أنه على الحقّ، أمّا الآخرون من رجالات الأحزاب الأخرى وأبواقهم الإعلامية فهم وإنْ عبروا عن استنكارهم لما يَحدُثُ بين "الإخوة الأعداء"، وسعوا إلى إصلاح ذاتِ البَين، فإننا لا نَعْدُم رواحَ الحزبية التي بَدَأَتْ بِطْرائِها المتنوعة تُرَوِّجُ لأفكارها الخاصة، وتَهْيَئُ الشارعَ لِمناصرتها؛ بغية تحقيقِ مَأْربٍ فُؤُويَّةٍ ضيقَةٍ.

- قلة العناية بقضايا العالم من حولنا:

ونكاد تكون ظاهرةً عامة في إعلامنا الفلسطيني، ولا سيما إذاعتنا المحلية الخاصة والعامة، وإنَّ أكثرَ ما يجيءُ في إعلامنا بهذا الخصوص يكون خاصًا بالقضية الفلسطينية، أو مقتبساً من وكالات الأنباء والقوسات الإعلامية الأخرى، وهو ما نلمسه أيضًا في موقع الصحف أو المنشورات الإلكترونية، مثل موقع: "شبكة فراس الإعلامية" و "وكالة الأنباء الفلسطينية". وفا" و "وكالة فلسطين برس" و "المجموعة الفلسطينية للإعلام" و "وكالة معاً الإخبارية" و "نداء الوطن" و "شبكة الكوفية" و "فلسطين الآن"، وهي أكثرَ ما تُعنَى بقضايا الوضع الفلسطيني المحلي.

ويجيءُ اهتمامُ هذه الصحف الإلكترونية بأخبار الأقطار العربية بشكلٍ عارض دون تحليل، ولمَّا يأتِي هذا النادرُ الذي نقرؤه فيها فيما يختصُ بأحوال العالم غير العربيِّ من حولنا.

على أنَّ الإنصافَ يقتضي أنْ نذكرُ في مضمون العناية بالأوضاع العالمية السياسية والاقتصادية "النشرة الإلكترونية" التي يُصدرُها "موقع كتعان" ،- ويرسلها للقراء عبر البريد الإلكترونيِّ يوميًّا؛ فهي تختصُ بالمقالات التحليلية التي ينشرُها لكتابٍ محليينٍ وغيرهم بالعربية، وأيضاً بالإنجليزية أحياناً.

وكذلك نستثنى الصحافة الفلسطينية المكتوبة التي نراها مع اشغالها وانكبابها على الوضع المحليِّ تُعرِّجُ على الأوضاع العالمية أيضًا ولا سيما أخبار العالم الإسلامي وقضاياها.

وإذا كانَ الاهتمامُ بالقضايا المحلية من مظاهر ما أسميهنا في هذه الدراسة بالإعلام المَنْتَهِي فإنَّ طغيانَه في إعلامنا الفلسطيني قد يكونُ له ما يبرره في ظلّ شعورِ الفلسطينيِّ بحاجته الماسَّة إلى التحدث عن قضاياه بلسانه التي حرمَ طوبلاً من التحدث عنها، وضيقَ ما يمتلكُ من إمكاناتٍ مادَّيةٍ داعمةٍ، وحصرَ خافقَ يمنعه من التنقل بينَ ربوعِ وطنه المخنوقي هوَوُ.

خاتمة و توصيات

نود في ختام هذه الدراسة تقديم بعض التوصيات التي نرى أنَّ الأخذ بها قد يُسهم إسهاماً قوياً في تعزيز الحركة الإعلامية الفلسطينية ودعمها، وتوجيه خطابها الإعلامي الوجهة السليمة التي تصبُّ في الارتقاء به، وتعزيز ثقة الإعلام العالمي به، والمحافظة على سلامة الأداء اللغوي فيه.

أولاً- توصيات في مجال اللغة:

لعلَّ من أهمِّ ما ركَّزت عليه هذه الدراسة يأتي في مجال صياغة الخطاب العربي والفلسطيني في إطار الربط الوثيق بين اللغة العربية والإعلام العربي الذي نشا وترعرع في أحضان دارسي العربية، وفي هذا المجال فإنَّ الدراسة ترى أنه:

يتوجب على أصحاب القرار في السلطة التشريعية والتنفيذية تطبيق ما نصَّ عليه القانون في جميع البلدان العربية - مشرقاً ومغرباً - بشأن أنَّ العربية هي اللغة الرسمية للبلاد؛ وذلك تعبيراً عن السيادة اللغوية أهمَّ عناصر الاستقلال والتمايز عن غيرنا، والاعتزال بانتمائنا الغولي، وهوينا الثقافية التي تشكَّل لغة الضاد وعاءً أميناً لها في الماضي والحاضر والمستقبل.

ولتعزيز مكانة هذا القانون وتفعيل تطبيقه على أرض الواقع نوصي بالتالي:

- رفض أي مشاريع أو توصيات تُعزِّز مكانة اللغات الأجنبية أو العاميات العربية في وسائل الإعلام أو غيرها على حساب لغتنا العربية الفصيحة: رمز هويتنا الممتدة معنا منذ الأزل، وحافظة تراثنا، ورابطة عقد التأخي والتواافق بين أبناء الأمة العربية على اختلاف الأديان أو المذاهب، ومفتوح صلتنا - نحن العرب - بغيرنا من أبناء الأمة الإسلامية.

- ضرورة تشكيل لجنة التدقيق اللغوي: سواء في المؤسسة الإعلامية الرسمية أم الخاصة، تكون مهمتها تقويم الأغلاط اللغوية المنطقية والمكتوبة، وإصدار المنشورات التقويمية وتوزيعها على الجهات المعنية بوسائل النشر المتعددة، ولاسيما النشر الإلكتروني لسرعته وانتشاره بين الأفراد والمؤسسات.

- عدم منح أية مؤسسة إعلامية ترخيصاً بمزاولة العمل إلا بعد اختبار كفاءة لجنتها، ومدى فعالية أدائها اللغوي، واشترط فعالية هذه اللجنة، وبيان أنَّ استمرار الترخيص مربوطاً بمدى الالتزام بالتنفيذ.

- متابعة لغة الإعلانات، وعدم الترخيص في أن تكون اللغة العربية الفصيحة هي اللفظ المعبر عنه، وليس في هذا الأمر تَعَدُّ على اللغات الأجنبية أو العاميات، وإنْ دعت الضرورة إلى استعمال أية لغة أجنبية فينبغي نطقها أو كتابتها بعد اللغة العربية: لغة البلاد، وفي مجال الإعلان بالعامية ينبغي التخفف منها في الإعلانات، والأفضل عدم اللجوء إليها ولاسيما في الإعلانات المكتوبة.

ثانياً- توصيات بشأن مضمون الخطاب وأدائه:

لفتت الدراسة إلى بعض النواقص في مجال الإعلام الفلسطيني كالاهتمام بالأمور الفضائية على حساب الموضوعات الوطنية العامة؛ وعدم الموضوعية في هذه الجوانب، وما إلى ذلك من مظاهر ينبغي لإعلامنا أن ينأى بنفسه عنها، وفي هذا المجال فإن الدراسة توصي بـ:

وضع سياسة إعلامية وفق خطوة علمية يضعها أكاديميون وخبراء بغية توحيد الخطاب الموجه إلى الداخل والخارج، وضرورة اختيار الكفاءات المناسبة في أية مؤسسة إعلامية، وفي هذا المقام نوصي بضرورة:

و هنا نرى أنه يتوجّب على المختصين والخبراء كتابة العناصر العامة لها للاستشهاد بها، وجدولة نشرها بحيث تلتزمُ وسائل الإعلام الفلسطينية جميعها بإفراز أحياز مرموقٍ لها في برامجها، ويفعلُ في المضامين الوطنية الجديدة ما نقترحه في مضامين التوابت.

ثالثاً: توصيات بشأن المتابعة

تشكيل لجنة المتابعة والإيصال، وتكون مهنتها متابعة ما يصدر عن المؤسسة الإعلامية من توصيات ومقترنات؛ لإيصالها إلى الجهات المعنية بالتنفيذ أو المتابعة.

وتوبيخاً لهذه التوصية أو الاقتراح أقول: قد يُجري الإعلامي صحفياً أم إذا عيناً مقابلة أو لقاءً يوجهه الضيف فيه توصية أو اقتراحأً أو نداءً إلى جهةٍ ما، والملحوظ أن كثيراً من هذه الأمور لا يكون صدحاً - في الأغلب الأعم - إلا زفيراً يُسْتَهْمِمُ في زيادة تلويث هواء الجو، وهذا تكون مهمته

هذه الجنة التوصيل والمتابعة، والجمع بين مصدر التوصية والجهة المعنية إذا استلزم الأمر؛ وذلك للتوضيح أو المناقشة التي تصب في صالح المفترج.

وفي مجال المؤتمرات والدورات العلمية ولاسيما التي تعقدها الجامعات فينبغي ألا تكون مجردة حسود أو تجمّعات فيها تقال الكلمات، وتنثار المساجلات، وتُترَغَّبُ الحُجَّاجُ بِنَظَارِهَا الداَحْضَة، ثمَّ ينتهي الأمرُ بانفصالٍ كُلِّيٍّ إِلَى مَكَانٍ يَخْلُدُ إِلَى ذِكْرِيَاتِ طَلْلٍ قد سُتْرَجَعُ فِيهَا ما أَصْدَرَهُ الْمُتَحَدِّثُونَ مِنْ مَقْرَحَاتٍ، وَأَنَّاتِ مُؤْلَمَةً نَافِدَةً، وَصَرْخَاتِ مُدْوَيَّةٍ دَافِعَةً، وَزَفَرَاتِ حَارَّةً كَانَتْ قَادِرَةً آتَتْ عَلَى تَأْجِيجِ الْعَوَاطِفِ، وَإِلَهَابِ الْمُشَاعِرِ، وَإِعْلَاشِ الصُّدُورِ، وَبَعْثَ الْأَمَالِ فِي الْعُقُولِ، وَعِنْدَمَا يَصْحُو إِلَى وَاقِعِهِ بَعْدَ هَذِهِ الْذِكْرِيَاتِ الْجَمِيلَةِ يَعُودُ إِلَى الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ الَّذِي يَنْحَصِرُ فِيهِ دُورُ مَا تَذَكَّرَهُ - بِمَا قَبِيلَ فِيهِ أَوْ أَثْبَرَ - عَلَى زِيادةِ الْمَعَانَةِ الْفَكِيرِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى مَا سَبَبَتْ زَفَرَاتِ أَصْواتِ الْمُتَحَدِّثِينَ وَأَنْفَاسِهِمُ الْمُلَهِّيَّةِ مِنْ تَلوِيُّثٍ لِهَوَاءِ زَيْدٍ فِي مَشَاكِلِهِ.

إن من الأسئلة التي تطرح نفسها في مقام المؤتمرات وورش العمل والندوات واللقاءات العامة:

رابعاً. توصيات لوزارة الإعلام:

ليس من شكٍّ في أنَّ من أهمِّ أعمال هذه الوزارة:

- المحافظة على سلامة اتجاهات البوصلة الإعلامية بعيداً عن اتجاه الوزير أو المسئول، وإنَّ أفياء الإعلام الذي تدرُّسه كلياتُ الإعلام يقوم على مطالبة بتحري الموضوعية والابتعاد عن الأهواء في الكتابة.

ومن هذا الوعي بأهمية موضوعية الإعلامي فإننا نرى أنَّ من أهمِّ ما يتحقق لوزارة الإعلام المصداقية والقدرة على أن تكون طرفاً مقبولاً عند المؤسسات الإعلامية. أيًّا كانت انتهاكها وأهواها - هو تحريها للموضوعية في التعامل مع الجميع.

- الإشراف على العمل الإعلامي في جميع المؤسسات الإعلامية في البلد؛ ولكي يتنسى لها القيم بهذه المسؤولية، والنجاح في استثمار الإعلام لما يخدم المصالح العامة المشتركة نرى ضرورة أن تقوم الوزارة بتشكيل لجان فيها عمادُها الكفاءة والقدرة على العطاء تكون مناظرَ للجان الموجودة أو المقترحة. في هذه التوصيات - في المؤسسات ذات الصلة؛ فهذه اللجان الوزارية تكون بمثابة المرجعية الموثوقة المعتمدة والمعتمدة، ويكونُ من أهمِّ وظائفها الرصدُ والمتابعة، وتمتلكُ سلطات التشريع والتنفيذ والمراقبة والمحاسبة.

ث بت المصادر والمراجع:

- الأدمي، سيف الدين أبو الحسن علي. (ت. ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م). الإحکام في أصول الأحكام. (ج ٢). مطبعة المعارف.
- الأصفهاني، أبو الفرج. (ت. ٣٦٥ هـ). (د.ت). الأغانی. ط ٢. (ج ٣). شرحه: أ. سمير جابر. دار الفكر. بيروت.
- أنطوني أستورب. (١٩٨٥ م). "الخطاب الشعري بوصفه أيدبيولوجيا". مجلة فصول. (٤).
- الأوتبي، أبو عبد البكري. (ت. ٤٨٧ هـ). (١٩٥٨ م). فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. ط ١. حقه وقدم له: د. عبد المجيد عابدين، ود. إحسان عباس. مطبوعات جامعة الخرطوم. مطبعة مصر. الخرطوم.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. (ت. ٤٠٣ هـ). (١٩٨٠ م). إعجاز القرآن. ط ٥. تحقيق السيد أحمد صقر. دار المعارف. مصر.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكلاني. (ت. ٢٥٥ هـ).
- ** (١٩٨٥ م). (د.ت). البيان والتبيين. ط ٥. (ج ١)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. + طبعة مكتبة الخانجي. القاهرة.
- ** (١٩٣٨ م). الحيوان. (ج ١). الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.

- الجُرجاني، عبد القاهر. (ت. ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م). دلائل الإعجاز. ط٦. صاحب أصله: الإمام محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، وصحح طباعته، وعلّق حواشيه: السيد محمد رشيد رضا. مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده. ميدان الأزهر.
- ابن جعفر، أبو الفرج قدامة. (ت. ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م). نقد الشعر. ط١. تحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي. الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.
- الجمحي، محمد بن سلام. (ت. ٢٣١ هـ). (دبٌ). طبقات الشعراء. إعداد: اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت.
- الخفاجي، ابن سنان أبو محمد عبدالله بن محمد. (ت. ٤٦٦ هـ = ١٩٨٢ م). (٢). سر الفصاحة. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (ت. ٤٤٩ هـ = ١٩٨٦ م). مقدمة ابن خلدون. ط٦. دار الفؤاد. لبنان.
- ابن رشيق القمياني، أبو علي الحسن. (ت. ٤٦٣ هـ = ١٩٨١ م). العمدة في محسن الشعر وأدابه ونقده. ط٥. (ج١). حقيقة: محمد محبي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت.
- السيوطى، جلال الدين. (ت. ٩١١ هـ = ١٤٢٣ م). الإتقان في علوم القرآن. ط١. (ج١). ويليه كتاب إعجاز القرآن للفاضي الباقلاني. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.
- الشيب، أحمد. (١٣٦٩ هـ = ١٩٧٦ م). الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. ط٧. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- الشوکاني، محمد بن علي بن محمد اليماني الصناعي. (ت. ١٢٥٠ هـ). ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر.
- ابن طباطبا، محمد أحمد. (ت. ٣٢٢ هـ = ١٩٨٠ م). عيار الشعر. دراسة وتحقيق: د. محمد زغلول سلام. الناشر: منشأة المعارف. الإسكندرية. ومن قبل كان تحقيقه ونشره بالاشتراك مع د. طه الحاجري رحمة الله.
- طحان، ريمون. (١٩٧٢ م). الألسنية العربية. (٢). ط١. سلسلة الألسنية. تصدر بإشراف: د. أنطون فريحة ود. ريمون طحان. دار الكتاب اللبناني. بيروت.
- طوقان، إبراهيم عبد الفتاح. (١٩٨٨ م). ديوان إبراهيم طوقان. دار العودة. بيروت.
- ابن عبد ربہ الأدلسي. (ت. ٣٢٨ هـ = ١٩٨٧ م). عقد الفريد. ط٣. تحقيق: د. مفید قمیحة. دار الكتب العلمية. بيروت.
- إسماعيل، عز الدين. (١٩٥٨ م). الأدب وفنونه دراسة ونقد. ط٢. دار الفكر العربي.

- ال العسكري، أبو هلال. (ت. ١٤٠٤ هـ = ١٩٨١ م). الصناعتين: الكتابة والشعر. ط١. تحقيق د. مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت.
- علي بن أبي طالب. (ت. ٤٠ هـ). ديوان الإمام على أمير المؤمنين، وسيد البلغاء والمتكلمين، ويليه القصيدة الكوثرية. جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، الناشر: المكتبة الفاقية. بيروت. لبنان، دب.
- الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي. (ت. ٥٠٥ هـ = ١٣٢٤ هـ). المستصنف من علم الأصول. ط١. (ج٢). وبهواشه: فواتح الرحموت لعبد الله محمد بن نظام الدين الانصاري. بشرح: مسلم الثبوت لمحب الله بن عبد الشكور. المطبعة الأميرية ببولاق.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (ت. ٢٧٦ هـ = ١٤٠٨ هـ). أدب الكاتب. ط١. شرحه وكتب هوامشه وقدم له: أ. علي فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- القرطاجي، أبو الحسن حازم. (ت. ٦٨٤ هـ = ١٩٨١ م). منهج البلغاء وسراج الأدباء. ط٢. تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر. (ت. ٧٣٩ هـ = ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م). الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبيع). ط١. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- المجمع الثقافي- أبو ظبي. (١٩٩٧-٢٠٠٣ م). موسوعة الشعرية. الإصدار الثالث. قرص مدمج.
- محجوب، فاطمة. (١٩٧٦ م). دراسات في علم اللغة. الناشر: دار النهضة العربية. القاهرة.
- المسدي، د. عبد السلام. (د.ت). الأسلوبية والأسلوب. الدار العربية للكتاب. ليبيا. تونس.
- النويري، شهاب الدين. (١٣٤٧ هـ = ١٩٢٩ م). نهاية الأرب في فنون الأدب. (ج٧). تصحيح: أحمد الزين. دار الكتب المصرية. القاهرة.
- الهذاني، عبد الرحمن بن عيسى. (ت. ٣٢٠ هـ = ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م). كتاب الألفاظ الكتابية. منشورات دار الهوى للطباعة والنشر. توزيع: المكتب الإسلامي.
- Bloomfield L. Language, George Allen & Unwin LTD - London, Twelfth Impression.